بين جيلين

مجموعة حوارات متسلسلة بين شاب عراقي واخيه الاكبر
حول المجتمع والدولة العراقية



بغداد - 2020

لقمان عبد الرحيم الفيلي

مركز الرافدين للحوار

بين جيلين

مجموعة حوارات متسلسلة بين شاب عراقي واخيه الأكبر

حول حالة المجتمع والدولة العراقية

بغداد ـ خريف 2020

بين جيلين

مجموعة حوارات متسلسلة بين شاب عراقي واخيه الأكبر

حول حالة المجتمع والدولة العراقية

بغداد ـ خريف 2020

لقمان عبد الرحيم الفيلي

الطبعة الأولى، بيروت/لبنان، 2021

First Edition, Beirut/Lebanon, 2021



تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77472 - 091 - 2

بين جيلين

مجموعة حوارات متسلسلة بين شاب عراقي واخيه الأكبر حول حالة المجتمع والدولة العراقية

بغداد ـ خريف 2020

لقمان عبد الرحيم الفيلي



الفهرس

اهداء 7
مقدمة 9
الحوار الأول: أسرى التاريخ وأمل الجغرافيا 11
الحوار الثاني: المثل الأعلى ـ بين السؤال وحيرة الجواب 15
الحوار الثالث: الشباب بين الواقع والأحلام 19
الحوار الرابع: فضاءات إيجابية للشباب 23
الحوار الخامس: الشباب بين شريعة الغاب والايثار 27
الحوار السادس: قواعد الحوار المنتج 31
الحوار السابع: حاجتنا للمقدسات 35
الحوار الثامن: الحريات وفرص العمل 39
الحوار التاسع: ريادة العمل، الحل الامثل للشباب 43
الحوار العاشر: السياسة غاية ام وسيلة؟ 49
الحوار الحادي عشر: الشباب والقيم، حاجة كمالية أَم ضرورية؟ 55
الحوار الثاني عشر: القيم النبيلة بوصلة لإعادة البناء 59
الحوار الثالث عشر: الحياة أمانة 63
الحوار الرابع عشر: الانترنت سلاح ذو حدين 69
الحوار الخامس عشر: اخلاقية الدولة ورجالات السلطة 75
الحوار السادس عشر: ثنائية الوئام المجتمعي والحكومة 81
الحوار السابع عشر: نظرية المؤامرة وأثرها 87
الحوار الثامن عشر: من تواضع لله رفعه 95
الحوار التاسع عشر: العلاج النفسي للقسوة 103
الحوار العشرون: خدمة المجتمع، فضيلة 109
الحوار الحادي والعشرون: تغيير منهج المجتمع مقدمة للتنمية 115

الحوار الثاني والعشرون: الشباب فاعل التغيير 121
الحوار الثالث والعشرون: حقوق الانسان حق ام منحة؟ 127
الحوار الرابع والعشرون: الوطن للجميع 133
من اين نبدأ ـ بين جيلين، صراع ام حوار؟ 137

اهداء

الى روح الوالدة الام الحنون التي فقدتها قبل عام.

الى روح الوالد الذي علمني ان الهدف لا تصل له بالدعاء فقط.

الى زوجتي التي لم تتوقف يوماً عن دعمي في عملي وكتاباتي.

الى ابنائي.. جيل المستقبل.

الى عموم الأصدقاء والزملاء والمعارف الذين يتحفونني بين الحين والأخر بملاحظة هنا او فكرة هناك.

الى القراء الذين لم يبخلوا علي بتشجيعهم وملاحظاتهم البناءة.

اهدي هذا العمل المتواضع الذي أحاول ان اقحم نفسي فيه من خلال حكاية معنية بعالم الاجتماع السياسي عسى ان استفيد من علمه واضيف شيئا بسيطا لمعالجة الواقع العراقي الاجتماعي والسياسي.

مقدمة

بين جيلين هي سلسلة حوارات بناءه وصريحة وكاشفة بين شخصين فقط، بين اخوين، احدهما خبر الدنيا بينما الاخر لا يزال حديث عهدٍ بها، يتحاوران بشأن التحديات التي تواجه الشباب والأسرة والمجتمع العراقي.

حوارات تخص الكثير من الموضوعات الحيوية التي قد تساعد المجتمع على معالجة وتنمية قدراته ليستطيع من خلالها كسر قيد توقف التنمية والحد من ثقافة عسكرة الأجيال المستمرة.

الحوار بين الأجيال من اصعب أنواع الحوارات، فلغة العقل والجسد والروح واللسان بينهما حافلة بالاختلاف فضلاً على فجوة كبيرة بين الجيلين نتيجةً انعدام الثقة وانعزال الشباب الى عالمهم الافتراضي في كثير من الأحيان من جهة وابتعاد الكبار عن عالمهم الافتراضي هذا من جهة اخرى.

التكنولوجيا والعولمة لهما تأثيرهما، فانشغال الكثير من كبار العمر بقضايا خاصة بمعزل عن الشباب امر لا يساعد على نقل الخبرات او خلق وئام اجتماعي بينهما، اضف الى ذلك الفجوة المجتمعية بين طبقات المجتمع العراقي والتي حاولنا في الحوارات هذه ان نعكسها ونبين مكامن الخلل والإصلاح فيها، مع ادراكنا للأدوار المختلفة لكيانات المجتمع، فالحكومة والاسرة لكل منهما دور خاص ومطلوب منهما القيام بتهيئة الأجواء والفضاءات الإيجابية للتنمية.

هناك خصوصية لتعقيدات الحالة العراقية في هذه الحوارات، فهي تحاول ان تعكس طبيعة التعقيد العراقي وطبيعة تطلعات وتحديات الشباب من جهة والجيل السابق من جهة اخرى، وخصوصاً مع كثرة الانسدادات السياسية والاقتصادية والثقافية والخروقات الأمنية المتعددة، واثرها على انعزال الشباب وسخطهم على الجيل السابق نتيجة سوء ادارتهم لهذا التعقيد متزامنة مع استمرار النكبات التي تحل على الشباب والمجتمع بشكل عام.

حاولنا ان نغطي في هذه الحوارات القصيرة المتسلسلة الكثير من مفردات البناء والتنمية، مع التركيز على المفاهيم الأخلاقية القيمة والمهمة لبناء المجتمع السليم، فالله عز وجل خلق الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا وليحصل اجتماع بينهم على اعمار الأرض وان تطلب الامر وجود مشكلات وخلافات بينهم في بادئ الامر.

هذه المشكلات ومنها الاجتماعية هي حالة طبيعية وضرورية لتقوية جسد أي مجتمع ولإيجاد مناعات ضد أي فايروس مستقبلي على جسدها وروحها، وهنا يطرح سؤال على من تقع مسؤولية إدارة هذه المشكلات؟ وكيفية هندسة الوضع المجتمعي للتقليل من التداعيات ولإصلاح حال البلاد والعباد؟.

وتعد هذه الرواية باكورة محاولاتي في كتابة حوار او قصة او قطعة انشائية حوارية معنية ومركزة على الأبعاد (المجتمعي والتربوي والتنموي) وليس السياسي فقط، عسى ان ينتفع منها القارئ وتكون لكاتبها صدقة جارية. على المستوى الشخصي كان هذا العمل ممتع وجديد وعليه قد ترون فيه الكثير من الأخطاء، حيث ان الكمال لله العلي القدير، والتمس العذر مقدماً، والعذر عند كرام الناس مقبولُ.

الحوار الأول

أسرى التاريخ وأمل الجغرافيا

لم اتحاور مع اخي الكبير منذ زمن طويل، فنحن من جيلين مختلفين، ونقاط الالتقاء بيننا قلة مع الزمن. اولوياتنا، رؤانا، منهج حياتنا وغيرها من عناصر الحياة مختلفة، جعلتنا كأننا غرباء وان كنا اخوة ساكنين تحت سقف واحد. جلوسنا في البيت نتيجة جائحة كورونا اللعينة اعطتنا فرصة للقاء وتبادل الحديث حول أمور كثيرة، كنت انتظر هذه الفرصة منذ مدة، لم تكن محاور الاحاديث منظمة او ممنهجة او مخططاً لها بل اخذنا الحديث في موضوعات كثيرة حسب الظروف ومعطيات الساعة وميولنا.

ابتدأت الحوار بسؤال اخي الاكبر عن سبب ترديده وإيمانه بمقولة «التاريخ يعيد نفسه»؟.

فأجاب:

«التاريخ يعيد نفسه»، مقولة نسمعها ونصدقها ونؤمن بها ونطبقها في يوميات حياتنا الا ما ندر.

نطبقها مع انفسنا، اهلنا، جيراننا، احبابنا، زملائنا، ارباب عملنا.

نطبقها ونحن نعلم ان التطور والتقدم لا يأتي بإعادة انتاج الماضي وخصوصا ان كنا اسرى له.

بل يكون بمراجعة دقيقة وفاحصة لمعتقداتنا ومناهجنا وسلوكنا وتشذيب ما فُرع عنها مما يخالف الطريق القويم والصراط السليم.

يا ترى لماذا نريد فك ذلك الأسر؟ انه ممتع ويغني عن الحاجة الى الحركة؟

فالتاريخ يعني العمق والماضي البعيد والاباء والأجداد والأحبة الذين فقدناهم واشتقنا لهم،

البركة في الماضي.

والسُنَة تأتي من الماضي.

ونحن نتاج الماضي.

فأي خطيئة تريدني ان اقترفها بكسري لطوق الماضي؟.

وأي بدعة تريد مني ان اخترعها وانتهجها بإحداث تجديد وحداثة في منهج تفكيري، او ممارساتي، او معتقداتي؟.

لا ان تتهمني باني سلفي او رجعي، او ضد التحضر.

فانا الحضارة، وأنا عمق التاريخ المشرق والمشرف.

وأنا الذي علمتكم الكتابة والرياضيات واختراع العجلة والقلم والفلك.

نعم اعترف لنفسي احياناً بأني أمر بأزمة:

أزمة معرفة!

أزمة مراجعة!

أزمة تصلب عضلاتي وجوارحي!

أزمة توقف عقارب ساعتي!

بل رجوع عقاربها الى الوراء!

أزمة اختلاط الحقيقة بالخيال!

أزمة ضياع الحقيقة بالانطباع!

صحيح، ما الفرق بين الحقيقة والانطباع في واقعنا يا اخي الصغير يا ترى؟.

اخي، قل لي بحق مقدساتك هل أنا فقط أمر بأزمة التمسك بالتاريخ وإعادة إنتاجه؟ ام ان غيري في مشارق الأرض ومغاربها يفعل الشيء ذاته؟.

اجابة أسئلة اخي الاكبر امر مقلق وحزين

لا اعرف من أين افصح له عن الحقيقة والواقع كما اراها واحسها؟

حبي له يمنعني ان اسكت او ان اصارحه.

نعم كأنه استيقظ الان من سحر التاريخ ويبحث عن دور في الجغرافيا.

من الجغرافيا نستطيع ان نكتب تاريخاً جديداً ولا يكون أسير ماضيه.

يا ترى اخي الاكبر فيه أمل، سنرى؟

هنا تذكرت مقولة الكاتب «كل الشعوب تلد أجيالا جديدة، إلا نحن نلد آباءنا وأجدادنا وذلك بغرس طبائع آبائنا وأجدادنا بهم وحثهم ومطالبتهم بالتمسك بها والحفاظ عليها، ولذلك فشعوب العالم تتطور ونحن نتخلف.»

الحوار الثاني

المثل الأعلى ـ بين السؤال وحيرة الجواب

منذ زمن طويل اود الحوار والحديث مع اخي الصغير، فلم أرى فرصة لذلك منذ امد، فهو قليل الحضور في الدار اثناء وجودي فيه، وعملي لا يتيح لي التواجد كثيراً في الدار الا للراحة والنوم. كنت ابحث ومنذ مدة عن فرصة لقاء وحوار معه واتت من دون تخطيط مع حظر جائحة كورونا ونكباتها على البشرية.

بعد ان تحدثنا عن التاريخ واهميته ومقولة «التاريخ يعيد نفسه»، بادرت بسؤال اخي الصغير، وهو في ريعان شبابه عن أسباب عزوفه عن اكمال مشواره الدراسي في الدراسات العليا برغم توافر الفرص له ودرجاته الجامعية المتميزة تتيح له الولوج في هذا المشوار بسلالسة مع مقدرتي على تعيينه في القطاع العام...

فأتاني جوابه لسؤالي موجزا قائلا... «أنت اخي الكبير وتوليت رعايتي بعد رحيل والدنا... لكن اترك عنك هذا الموضوع، «مالي خلگه»».

استطردت في محاورتي له قائلا: «لا تؤاخذني اذا ألححت، فانت الامل والمستقبل، لماذا تجيبني باجابات باهته وقصيرة وقاسية وجافة كلما تحدثت معك عن المستقبل؟... ماذا دهاك وانت في عنفوان شبابك والمستقبل امامك؟.

وأين انت عن مقولة (ما بنيت روما بيوم) او (طريق الالف ميل يبدأ بخطوة) وهي ليست بغريبة عن تربيتنا.»

جاءني جوابه قائلا: «انا احترمك واقدر حرصك علي، ولكنك خُلقتَ في زمن اخر، ونحن الشباب نعيش في عالم غير عالمكم، لا نحب نظامكم ولا منهجكم ولا نحب سكوتكم طوال هذا الزمن عن الظلم... واستمر في توضيح كيف انهم كشباب يرون ان المجتمع في ضياع وتيه ولا توجد بوصلة توجه باتجاه اهداف نبيلة.

باختصار.. اننا لا نعرف ماذا يضمر لنا المستقبل وما يخفي لنا بين طيات أيامه الحبلى بالاحداث.»

وختم جوابه لي بسؤال حيرني، اسكتني وافحمني واحزنني...

قال مع كثرة الشخصيات العامة، وكثرة المال العام، ووجود الكثير من الحريات، هل من الممكن ان تحدد لي خمس شخصيات من المعاصرين (اي الجغرافيا وليس التاريخ) تعتز بهم وتعتبرهم رموزا وعنوان نجاح تفتخر بهم وتأمل مني ان اقتدي بهم؟

حينها بدا الارتباك يراودني وإذا بأخي الصغير «الشاب الفطن» يلاحظ هذا الارتباكِ وعدم قدرتي على إعطاء اجابة سريعة، ويسترسل بالقول بان هناك أشخاص محترمون «لو خُليت لقُلبت» ولكنه أراد ان يعكس لي ان هذا التيه لا يخصه هو والشباب من امثاله فقط بل انه حالة ضياع مجتمعي، ضياع ينتج عن قلة صعود الشخصيات المحترمة لقيادة المشهد الاجتماعي، وعليه نرى اضمحلال الأخلاق وصعودا لأسماء هي في الحقيقة اشبه بانعكاسات اضواء من دون ان تكون نبراسا ونورا حقيقيا. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم (سورة يونس: 35)

عندها سألته، «وكيف تريد ان تصلح الحال لكي ترى النور في نهاية النفق؟»

فأجابني اخي الصغير، «اصلح الحال؟!! هذه مسؤوليتكم انتم أيها الكبار...

اي أب، او اخ كبير يريد ان يسلم الجيل الذي يليه تركته السياسية والاقتصادية الثقيلة، وخزائن اخلاقية فارغة؟.

تريدون منا ان نشيب قبل ان نرى الفرحة ونعيش بعض من شبابنا، أي حمل ثقيل تريدون ان نحملها ونحن في مقتبس العمر... اي انانية تمارسونها انتم كجيل يا اخي وتاج رأسي؟.»

أجبته... «انكم لا تدركون حجم المأساة التي كنا نعيشها... بين ازمان التخبط وما تخللتها من حروب داخلية وخارجية وغيرها.»

فقاطعني اخي الصغير على الفور، ووجهه محمر ونبرات صوته متقطعة، فقال «نعرف ونسمع ونرى وووووو أسطوانة قديمة يعاد تسويقها دوماً كذريعة لفشلكم في ادارة اوضاعنا، خوفكم وقبولكم وتعايشكم مع الظلم طوال هذه المدة انتج ما نحن عليه اليوم.

لدي الان موعد مع الأصدقاء لمشاهدة لعبة قديمة لبرشلونة مع الريال، ومن ناحيتي أفضل اللاعبين ميسي ورنالدو على كل رجالاتنا ورموزنا، على الأقل، ليونيل وكرستيان يعطياني فرحة ونشوة نجاح افتقدها في محيطنا.»

قلت «للحديث تتمة يا اخي، فأنت لم تمنحني الوقت للاجابة، كما أتمنى ان لا يطول بك المقام خارج المنزل وان لا تتأخر بالسهرة.»

قال، «أين نذهب؟ فالحظر وكورونا ألزمانا بان نلتقي وجهاً لوجه طوال اليوم والليل، مع السلامة ايها الشايب الطاهر الودود.»

عندها ادركت كم اقترفنا من خطأ بتركنا لشباب المجتمع يتربى بالصدفة، وتبعاً لذلك أنشأنا فجوة بين الأجيال وفجوة مجتمعية واقتصادية وتعليمية بيننا وبين ابناءنا من الشباب...

وتذكرت الآية الكريمة التي تقول: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ صدَقَ الله العلي العَظِيم (الأعراف: 23).

اللهم احفظ شبابنا من الضياع ومن شرور الأشرار وكيد الفجار وشر طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.

الحوار الثالث

الشباب بين الواقع والأحلام

استغرقت في النوم ليلة امس وأنا قلق من الحوار الذي دار بيني وبين اخي الصغير، فعندما يكون شبابنا بهذا النفس السلبي تجاه الحياة ومسيرتها الوعرة، من يا ترى ممكن ان نعول عليه في تغيير واقعنا الحزين المؤسف؟ مسؤوليتي تجاهه تحتم علي ان لا اتوقف عن المحاولة.

التقيته في الظهيرة بعد ان كان سهراناً مع أصدقائه في مشاهدة مباراة لكرة القدم بدل ان يستثمر شهر رمضان المبارك الذي نحن فيه بالدعاء في ليالي القدر المباركة، حسبنا الله ونعم الوكيل، متناسياً انها من اعظم ليالي السنة عند الله، كيف لا وهي ليلة بالف شهر.

على كل حال بدأت الحديث معه عن سبب فقدانه الامل وبحثه عن مثل اعلى وسط الفوضى الموجودة في البلاد، وكيف انه مثالي اكثر من اللازم، وقلت له: لماذا لا تكون واقعيا فيما ترى وتتحمل المسؤولية في بناء نفسك ووطنك، فإذا لم تكن انت، فكيف ومن سيعمل ذلك؟ فنحن كجيل سابق قمنا بما نستطيع وسط محيط مليء بالخوف والعسكرة والركض وراء خبز اليوم بعيدا عن الحرية مع قلة الفرص ومحدودية القدرة على اختيار نوعية العمل والتأثير على مجريات امورنا، وكان شعارنا في حينه هذا قضاء الله وقدره، أما انتم الان فلكم حرية الحركة والسفر والعمل والتعبير ولا يحددكم شيء، نعم هناك معوقات ليست بالقليلة ولكن هذه هي الحياة وسننها.

ابتدأ إجابته باعتذار ان كان قد اخطأ بحقي في حديثنا ليلة امس، ولكنه قال بانه مصر باننا اخطانا بحقهم ولم نفكر بهم عندما تحملنا ما لم يجب ان نتحمله من ظلم وقهر، خوفنا عليهم كان كالذي يخنق طفلته نتيجة احتضانها حبا بها.

قلت له لنترك التاريخ الان ولنركز على اليوم والغد، فعقارب الساعة لن تعود وآهات الماضي تبقى اهات ليس الا، لا تغني او تسمن من جوع.

قال كيف تريدني ان أترك التاريخ واليوم هو امتداد الامس، كل ما نواجهه الان قائم على أسس اعمالكم يوم امس. تريد منا ان نبني من جديد ونبدأ من الصفر، حسناً، سأقبل بذلك شرط ان تترك لي حرية الحركة وإدارة أموري بيدي، ولا تفرض علي شيئاً، هل ستقبل بذلك ام أنكم لا تثقون بنا نحن الشباب.

ثم سأل: كم مسؤولا موجود في الحكومة دون الخمسين او الأربعين من العمر؟ وكم قياديا حزبيا وصل الى سدة الحكم بيده وكفاءته لا ان يكون قريب فلان او صديق علان؟ وكم غنيا اصبح غنياً بسواعده الشريفة، أين العدالة الاجتماعية او التكافل او تطبيقات القيم المجتمعية النبيلة؟.

واستمر بالقول لنترك هذه الامور كلها، ونترك الحديث عن اثر السياسة علينا وان كنت متعجباً من ذلك، وخصوصا وان السياسة في حقيقتها منهج ادارة امورنا، ممكن ان تعلمني ماذا علي ان أقوم به لكي اصل إلى بر الأمان في ضمان معيشتي واستقراري بكرامة وانا محترم لنفسي؟ ام ان مفردة «العيشة الكريمة» مصطلح فيه مفارقة وتناقض هذه الايام يا اخي الكبير؟.

قلت له يا أخي الصغير ابحث عن فرص شريفة، وابتدأ بأحلام صغيرة وواقعية، فليس كل لاعب كرة ممكن ان يكون ميسي ولا كل مهندس حاسوب ممكن ان يكون بل غيتس ببضع سنين، الواقعية والقناعة راحة للبال ياعزيز اخيك.

أجاب أخي الصغير: كلامك مختلف عن ما كنت تقوله بالأمس القريب، وخصوصا حول التمسك بالماضي وقداسته، والظاهر انك وابناء جيلكم أدركتم ان الزمن يمر بأسرع مما اعتقدتم، وان قطار التطور السريع لا يرغب ولا يستطيع ان يتوقف عند محطاتكم البدائية.

واستمر بحديثه بالقول بان البناء الجديد يحتاج الى وجود بنى تحتية مطلوب من الدولة والمجتمع توفيرها، وطلب مني بعض الصبر على شرحه لي، وخصوصاً وأننا لم نتصارح ونتصادق في حديثنا منذ زمن ليس بقريب.

قلت له هذا من حقك وحرصي على مستقبلك سيعطيني من الصبر ما لم اكن أملكه، فالواجب علينا الان ان نفتح لكم صدورنا وان نستمع لما تحملون من هموم وافكار عسى ان نستطيع ان نكون عونًا لكم في المرحلة القادمة، فأنتم الامل، نعم عليكم بناء محطات رصينة وجديدة تتحمل توقف قطار التطور عندها، والا فكلنا سنكون جزءاً من التاريخ فقط وليس جزءاً من الجغرافيا ايضاً.

أجابني أخي الصغير على الفور، إذن اصلي الظهر ونتحدث ونتحاور بعدها بوضوح وصراحة ومباشرة بما هو موجود ومطلوب وممكن منكم يا جيل الكبار ومنا جيل الشباب، وان كنت اصر ان عليكم دعم طموحنا وليس كبحه تحت مسمى او ذريعة الواقعية، أي لدينا الإمكانيات كقوة شبابية ولديكم المقدمات المطلوبه لدعمنا كقوة ساندة لنا.

قلت على بركة الله لنبتدأ الحوار بكل موضوعية وتجرد وصراحة، على الأقل بعدها اخذ قيلولتي «نومة الظهر» وانا مرتاح البال.

أجابني، في الصراحة راحة يا أخي الكبير.

الحوار الرابع

فضاءات إيجابية للشباب

الأخ الاكبر ـ تفضل اخي الصغير، بين لي ماذا تريد منا نحن الجيل الذي سبقكم وحاول ان يقدم لكم ما يستطيع مع صعوبة ظروفه؟.

الأخ الاصغر ـ عندما تقول نحن، هل تقصد الشعب والمجتمع ام الحكومة والدولة؟.

الاكبر ـ وهل هناك فرق بينهما، فكلاهما شارك في الحروب، وعانيا من الارهاب والحصار قبلهما، كيفما تكونوا يولى عليكم يا اخي.

الاصغر ـ هناك فرق كبير، فانا من الشعب، والشباب من امثالي من الشعب، لا نحس باننا جزء من الدولة او اننا نمثل المجتمع لان دورنا في البناء مهمل ولم نُعطى الفرصة للمشاركة فيها.

ومن جانب اخر ترى الشباب من امثالي دفعوا الكثير عندما فجر الارهاب الداعشي او الزرقاوي المقاهي التي كنا نحاول ان نأخذ قسطاً من المتعة فيها او الاسواق التي كنا نمشي فيها، وبعدها دفعنا الثمن الغالي بمشاركتنا ضمن الحشد والجيش على السواتر ضد الدواعش وأزلامهم من الأجانب والعراقيين.

الفرق كبير، فالشباب اصبحوا وقود الدولة ولم تكافئهم الدولة برعايتها لهم.

ليس لدينا منة على احد ولكن لكل عمل ضريبة ومن الضروري ان يدرك رجالات الدولة ان الإيثار هي حالة خاصة فلا يطلبوها دوماً من الشباب.

الاكبر ـ لنرجع لجوهر حديثنا، ماذا تريد من الدولة او المجتمع لكي يكسروا لكم طوق خيبة الامل الذي تعيشونه ويستبدل بالأمل والاستقرار؟.

الاصغر ـ دعني اسأل قبلها سؤالاً سريعاً؟.

الاكبر ـ تفضل

الاصغر ـ عندما تريد ان تزرع شيئاً، يجب ان تهيئ مستلزمات النجاح أولا، مثل التربة الصالحة، الرعاية الدائمة، الماء، البذرة المناسبة وأخيرا الموسم المناسب لإنبات البذرة، صحيح؟.

الاكبر ـ نعم صحيح

الاصغر ـ هل تستطيع ان تحصد شيئاً دون سلسلة اعمال ومتابعة ورعاية للزرع، وفي النهاية قد تحصد الكثير ان كنت ذا خبرة ودراية بالمواسم والمحاصيل او القليل ان كنت حديث عهد مع هكذا نوع من المحاصيل، صحيح؟.

الاكبر ـ نعم صحيح.

الاصغر ـ وعليه، نحن الشباب نحتاج إلى فضاءات إيجابية تشجع على العمل في القطاع الخاص، وليس فقط بعض التشجيع المعنوي او الدعاء لنا، وان كان ذلك مهماً ومفيداً يا اخي الكبير، أنا اتحدث عن دعم معنوي ومادي.

مادي يترجم الى قروض بنكية قليلة الفائدة، او وجود بنى تحتية مثل ترددات انترنت

عالية الجودة وسريعة وبأسعار معقولة، معاهد او مراكز رعاية تبين لنا كيفية البدء بالمشاريع الصغيرة، وتعلمنا التسويق والإدارة وغيرها من مستلزمات نجاح اي مشروع بمعزل عن اصل فكرة المشروع، نحتاج خبراء او أشخاصاً ذوي تجربة يرعون مراحل البدء عندنا لكي لا نبذر رأسمال المشروع في إجراءات او خطوات غير مجدية، نحتاج إلى مراكز او مؤسسات تعطينا بدل ايجار معقول لمشاريعنا الاولية.

هذا من الجانب المادي، أما معنويا، فعليكم تحمل فشلنا ان فشلنا، ولا تسخطوا علينا ان لم ننجح في تجربتنا الأولى، وتدعموننا ثانيا لكي نقف على ارجلنا ونستمر ولا نتوقف او نبدأ من الصفر من جديد. وأخيرا نحتاج منكم ان تنظروا لنا كمشروع او استثمار طويل الأمد وليس وقوداً لحروبكم او سوء إدارتكم لواقعنا.

هل ما نطلبه صعب او مستحيل؟.

الاكبر ـ أنت تطلب منا ان نغير من منهج إدارتنا، ونمط تفكيرنا، اي ان نراكم كشركاء لنا وليس كمستخدمين او عمال، تطلب منا ان نثق بالآخر وهذا ما لم ننتهجه منذ زمن طويل، فأنظمة الحكم عملت على هندسة مجتمعية مدمرة وليست بناءة، وحروب الصراع العرقي-الطائفي (وحتى القومي الى حد ما) جعلنا لا نثق حتى بالجيران وابناء محلتنا.

وأخيرا أقول نظرية الحكم الواقعي غير ما تحبو له، نعم نرى عبث المنظومة الاقتصادية الحالية وسفاهة في الحكم في أحيان كثيرة ولكن كيفما تكونوا يولى عليكم، اليس كذلك؟.

الاصغر ـ إذن انت تطلب مني ان أثور او أهاجر او أعيش الخمول والتسكع او ادخل عالم الجريمة والرشوة، او ابحث عن كل السبل المشروعة وغير المشروعة لدخول التوظيف في القطاع العام وأكون من طلاب الوظيفة الجامدة.

الاكبر ـ ابداً وهذه جريمة بحقكم منا، بل أقول لا تتوقف عن المطالبة بحقوقكم المشروعة، واستمر بطلب المشاركة في القرار، فالواقعية عندنا تقول بأن الحق يؤخذ ولا يعطى، ولا تنسى ان تستمر بالبحث عن سبل التطوير والتقدم، ولكن لا ترى الدولة فقط كمنفذ لتقدمكم

وتطوركم، فهي متخمة وكسولة وتمر بمرحلة عجز وتحتاج الى عملية اعادة تأهيل قيصرية.

ونتحدث لاحقا، فانا في شوق لمعرفة ما هو المشروع المحدد الذي تريد مني مساعدتك فيه.

الاصغر ـ حسنا اخي الكبير، نتحدث الليلة بعد الإفطار.

الحوار الخامس

الشباب بين شريعة الغاب والايثار

الاصغر ـ قبل ان اتحدث معك عن ما في ذهني من مشروع تجاري، والذي سأحتاج دعمكم لتفعيله وترجمته الى الواقع، لدي بضعة أسئلة استوقفتني في حديثكم معي اليوم ظهرا.

الاكبر ـ تفضل اخي ما هي؟.

الاصغر ـ أولا، قلت بان الحق يؤخذ ولا يُعطى، ذكرتني هذه المقولة بأخرى حول قانون الغابة والغلبة للأقوى،

ثانيًا، حول أسباب عدم حديثنا بصراحة وشفافية في هكذا مواضيع منذ امد بعيد علما باننا نحب بعضنا البعض ولا توجد موانع ثقافية او عرفية تمنعنا من هكذا حوارات بين اخوين وان كنا من جيلين مختلفين؟

ثالثا، تحدث لي اكثر يا اخي الكبير عن نظرية الحكم الواقعية كما سميتها، لكي ننزل نحن الشباب من ابراجنا العاجية (هذا حسب فهمكم عنا) ونفهم الواقع (كما ترونه) ولا نبقى فوق التل نلوم يوماً ونثور يوماً اخر من غير وجه حق او دراية بما هو ممكن من عدمه؟

الاكبر ـ في الحقيقة أنا بودي ان أكون مستمعاً لما تريد قوله اكثر من ان أكون متحدثاً ومتأملاً لفهم جيلكم وليس محاضراً عليكم او مبرراً لكم افعالنا ونظريتنا في الحياة ومنهج عملنا، نحن الجيل القديم فاتنا قطار التغيير ولم يبقى لنا الكثير من الوقت للشروع بالتنمية والاستقرار.

الاصغر ـ وعدتك بالبوح عن ما في صدري ولكن الفضول والحاجة والفرصة أعطتني مؤشرات بانني لم أضع نفسي محلك لكي اعرف لماذا أنت انت وجيلك فعل ما فعل (وما زال)، اهملتمونا وأسأتم ادارة امورنا العامة (كما نرى نحن)، نريد ان نعرف لماذا، بل نحتاج ان نعرف وان كانت رغمًا عنا لكي لا نكرر أخطاءكم.

الاكبر ـ الا ترى بانك قاس في الحكم علينا؟

الاصغر ـ كلا ابداً، بل اننا اعطيناكم اكثر من حقكم من فسحة الوقت والفرص، كانت لنا ثقة بكم وتلاشت مع الزمن، كذلك يراودنا شعور بانكم خدعتمونا وتبخرت أحلامنا من بين طيات أيام حكمكم، وكنتم اما جهلة في الحكم وإدارته او تامرتم علينا انانيةً او لغاية في نفس يعقوب، واسمح لي ان أقول ان أيام حكمكم اتسمت بالفشل وسوء الإدارة وبانانية مفرطة.

الاكبر ـ انتم نحن، أي انتم امتدادنا الطبيعي فلماذا نخدع اولادنا واحفادنا؟

الاصغر ـ هذا ما نحس به بمعزل عن الحقيقة، لديك فرصة لتشرح لنا ما لم نلم به، وتوضح لنا أين الانطباع من الحقيقة، أي ماهيات المشهد من عيونكم وزاويتكم.

الاكبر ـ الحقيقة اعقد بكثير ومؤلمة عندما تغوص فيها، لم نر الحاجة لنشغل الشباب بها رفقا بهم، نعم هم صغار في اعيننا وان كبروا.

الاصغر ـ قد يكون كذلك ولكن كان عليكم التواصل معنا واعلامنا واشراكنا وعدم تركنا للزمن والصدفة ومنصات التواصل الاجتماعي تربينا حقا او باطلا. تلك المواقع التي يقول عنها الكاتب الإيطالي اومبرتو إيكو «أدوات مثل تويتر وفيسبوك تمنح حق الكلام لفيالق من الحمقى، ممن كانوا يتكلمون في البارات فقط بعد تناول كأس من النبيذ، دون أن يتسببوا

بأي ضرر للمجتمع، وكان يتم إسكاتهم فوراً. أما الآن فلهم الحق بالكلام مثلهم مثل من يحمل جائزة نوبل. إنه غزو البلهاء».

الاكبر ـ في هذه انتم على حق، الزمن سبقنا وكنا نعتقد بان تركة الماضي سهل التعامل معها واننا سوف لن نكون اسرى لها واننا سوف ننطلق بالأعمار والبناء انطلاقة صاروخية.

الاصغر ـ ماذا حصل يا ترى؟

الاكبر ـ عدة امور واسباب، بعضها كنت اعتقد بانها حقيقة والآن بعد مراجعتها أراها اعذاراً، وبعضها اكبر بكثير من امكانياتنا الادارية او خبراتنا المتواضعة، وبعضها نجحنا فيها ولكن تسوناميات أخرى اعاقت إظهار حجم العمل الجبار الذي قدمناه.

الاصغر ـ اشرح لي هذه الأسباب، فانا دوما ما كنت اعتقد ان اضواء السلطة والمال أعاقت قدرتكم على النظر وعزلتكم عن المجتمع، وان المعوقات هي في حقيقتها طبيعية وليست بحجم ما حاولتم تهويلها.

الاكبر ـ هل تريدني ان اتحدث عن أسباب المعوقات ام أسئلتكم الثلاثة أعلاه، لا احب التشتيت في الافكار وأنتم من جانب اخر أيها الشباب لا تحبون النظام.

الاصغر ـ حقك، لنرجع لأسئلتي الثلاثة.

الاكبر ـ حسنا، أما مقارنة مقولة أخذ الحق بشريعة الغاب (وليس قانون الغابة كما ذكرت) ففيها بعض الصحة، نحن لم نرغب ان نعيش في غابة، بل وجدنا أنفسنا فيها رغماً عنا، لم نر

عدالة نحونا، ولم نعرف بالضبط كيف نسترجع حقوقنا ولم نر إنصاف الأخر لنا وأخيرا منظومة المجتمع فيها جذور قبلية وإقصائية ولم نستطع مجابهتها فتعايشنا معها وقبلنا بها.

ثانياً بخصوص المكاشفة فمجتمعنا علمنا باننا مسؤولون عرفا وشرعًا ولدينا الولاية وعليه لا نحتاج الى أخذ الأذن او الموافقة قبل تطبيق ما نرى انه صحيح او مفروض.

الديموقراطية التي تثار هذه الايام كمنهج حكم شيء لم نتثقف عليه في ادبيات الدراسة او الحراك السياسي او حتى في أماكن عملنا في القطاع العام او الخاص.

وأخيراً بخصوص واقعية نظرية الحكم، فأنت تريد منا كسر طوق الواقع وهذا معناه المغامرة والمبادرة واحتمالية خسارة ما كسبناه وفوق هذا وذاك نعرف ان الآخر متربص بنا ومستعد لاستغلال اي محاولة فشل عندنا، وعليه اتفقنا فيما بيننا على مقولة لنرض بالقليل الموجود خير من الكثير الموعود.

الاصغر ـ اذن مشكلتكم سببها نتيجة عدم الثقة بالآخر او بأنفسكم وكأنكم تعلقتم او قبلتم بالواقع فقط، اين الطموح والأمل والغيرة على الأولاد والأحفاد؟ يا ترى كم من هذه العقد والأمراض والتيه الجيلي ورثتموه وستورثونه لنا؟

الاكبر ـ انت طلبت الحقيقة وقلت لك سوف لن تتحملها.

الاصغر ـ ان اعلم بانني مريض واحتاج ان أتعافى بعد أخذ العلاج أفضل من ان اتنكر لوجود المرض أصلا.

الظاهر اننا نحتاج ان نفكر من الان بأولادنا والجيل الذي بعدنا، لقد جعلتمونا كهولاً قبل الأوان سامحكم الله وصبرنا، وذكرتني بقول الشاعر وما ان شبت من كبر ولكن لقيت من الحوادث ما أشابا.

الحوار السادس

قواعد الحوار المنتج

الاصغر ـ وأنا اسمع إجاباتك يا اخي حول أسئلتي الثلاثة خطر على بالي اجابات قد تراها نظرية أو شبابية (ان صح التعبير) اكثر من ان تكون «واقعية».

هل تسمح لي بأن ابين لك وجهة نظر أخرى ولكن من زاوية مختلفة؟.

الاكبر ـ تفضل، نورنا، منكم نتعلم.

الاصغر ـ سأفعل ذلك ولكن قبلها ماذا عن ملاحظتي السابقة عن الأسباب التي ذكرتها كمعوقات للتطور، ارجو منك ايضاح ذلك لكي تكتمل الصورة عندي عن الأسباب التي ترونها كحواجز منعتكم عن حسن إدارة أمورنا؟.

الاكبر ـ لماذا تعتقد بأن هناك سوء ادارة للأمور، فما ترى هو امر طبيعي وصيرورة ضرورية لنا كمجتمع.

ولا تنس ان الدولة كلها قد دمرت وكان علينا كجيل ان نعيد بناءها من الصفر، بل ما دون الصفر نتيجة حصار سياسي وعسكري واقتصادي دولي مع كوننا دولة منبوذة وعلينا ديون مالية كبيرة.

الاصغر ـ تسأل لماذا، عجبي منك يا اخي العزيز!! هل اطلعت على يوميات العراقيين عن كثب، ام تعودتم مع انعزالكم عن المجتمع أن تروا الأمور كما يحلو لكم؟.

الاكبر ـ نحن في قلب المجتمع، ونرى كل شيء، لماذا تستصغرون دوماً مستوى معرفتنا؟.

الاصغر ـ اسمح لي ان اقول بأنكم في تيه وشتات عن الاهداف المنشودة للحكم، دعني اعطيك بعضاً من يوميات مشاهداتنا نحن الشباب:

المساجد خالية إلا في بعض المناسبات ولا تربي الشباب على الأخلاق الحميدة او الإيثار الا ما رحم ربي.

أفراد البيت مشغولون بشاشات هواتفهم الخلوية الصغيرة وعالمهم الافتراضي.

الجامعات وصفوفها، قبل جائحة كورونا، متكدسة بالطلبة كالأسماك الصغيرة في علب السردين، لا علم يدرس، ولا تربية تمارس.

النوادي والمقاهي والمولات موبوءة بالشيشة وكلام الفيسبوك وما شابه ذلك.

المكتبات بيوت مهجورة.

السياسة عندنا تعني التسقيط والفساد وسوء الحال.

شوارعنا قذرة، قبيحة، تهرب منها، ترى في كل مسافة شجرة نحيفة يتيمة لا تستطيع أن تستظل تحتها.

خدمات بيوتنا متقطعة، بائسة، وغالية الثمن.

متنزهاتنا ومنتجعاتنا قليلة او خاوية.

اعتقد هذا يكفي كسرد سريع لتعاطي المواطن المؤسف وسط مجتمعه ومحيطه.

الاكبر ـ لماذا يا اخي الشاب تسقطون كل شيء وتنظرون للأمور بسوداوية؟.

الاصغر ـ ومن قال ذلك؟.

الاكبر ـ من وجهة نظرك هل أن كل مسؤول فاسد؟ وان كان هناك مفسدة، فهل الكل عديمو القدرة؟ لماذا نسقط كل شيء عند الآخر؟.

* وهل نستطيع أن نأتي بالافضل عندما نسقط الكل؟ والأدهى من هذا هل سيتطوع الشرفاء والأكفاء للعمل في الشان العام عندما نسقط الكل؟.

* لماذا لا نفرق بين ما قيل والحقيقة والحاجة؟.

* لماذا لا ننظر الى دورنا كمجتمع في المشكلة والبحث عن حل مشترك بالتعاون بدل لوم الآخرين وانتظار الحلول منهم؟.

* هل ان تسقيط الكل شيء صحيح ومفيد ومجد لنا في البناء يا اخي؟.

* لا تؤاخذني على اعتراضي على ما تقول؟ فقسوتكم اعمت عيون الإنصاف عندكم.

الاصغر ـ نعم انزعج واعترض عندما اسمع الأعذار واستمرار نكران الواقع المؤسف.

الاكبر ـ قد تكون لنا حساسية من النقد فيما تقول، في الاعم الأغلب ما نسمعه هو تسقيط وليس نقداً وشتان ما بين النقد البناء والنقد الهادم، فلكل مستلزماته، وكما كان يقول والدنا رحمه الله نحتاج ان نحسن بيننا فن الاختلاف لا ان نفرض على المقابل قناعاتنا لمجرد انه يختلف عنا.

* ومن ناحيتي أقول نعم لا بد لنا من وقفة تحتم علينا مراجعة الاداء والأدوار ودرجة المسؤولية، ولكن بعد تحديد قواعد «الاشتباك» الحوارية والاتفاق عليها من أجل الوصول مع بعضنا كجيل سابق وجيل شاب الى معادلة هادفة ومثمرة للبناء، وإلا فالمعادلة الصفرية الحالية قاتلة للعقل والروح قبل الجسد يا اخي المنتفض.

* فالتاريخ يا اخي لا يصنع من دون رجالات ذوي همم يسعون نحو تغيير واقعهم، وأكرر، لكي ترتاح، باننا لم نغير الكثير من الواقع للأحسن، اعترف بذلك، ولكن صناع التاريخ لا يأتون بالصدفة، ولا بالقوة، ومن جانب اخر كثرة التضحيات العراقية ليست بضمانة لنجاح المسيرة، وتضحياتكم قد لا تنتج الكثير كما تظنون، وأن نجحت فهي ليست ضماناً لإدامته وتطوره السريع، فلكل تطور شروطه وظروفه.

* وأخيرا أقول هل من الحكمة أن يكون الشخص منا يحمل منهجية او استراتيجية تدمير الموجود من دون أن يفكر أو يعمل على منهجية البديل وإعادة البناء؟.

الاصغر ـ اعتقد باننا لا نختلف بالراي على ان جمال الديموقراطية والحوار البناء والأمن وضمان كرامة مجتمعنا لا يتحقق الا بعد عناء مثمر، الا ان ما نراه الآن من إقصاء لجيل الشباب في القرار شيء غير مثمر يا عزيزي ولا يمت بصلة للديموقراطية أو الإنصاف أو الحكمة لا من قريب ولا من بعيد!!.

الاكبر ـ اتفق معك، ولكن رغم شعوركم بفقدان الأمل، إلا أنه ما زال موجوداً وبقوة، فهو الهواء الذي نستنشقه لنعيش، أما درجة نقائه فهذا ما يجب علينا جميعا التحرك عليه والعمل معاً من اجل جعله صحياً نقيا قدر المستطاع.

الاصغر ـ من قال باننا فقدنا الامل، وكيف ترى البناء سيحصل؟.

الاكبر ـ لنكمل الحديث غدا ان شاء الله، وحديثكم هذا ذكرني ببعض ابيات احفضها من شعر لإيليا ابو ماضي يقول فيها:

قالَ السَماءُ كَئيبَةٌ وَتَجَهَّما   قُلتُ اِبتَسِم يَكفي التَجَهّمُ في السَما
قالَ الصِبا وَلّى فَقُلتُ لَهُ اِبتَسِم   لَن يُرجِعَ الأَسَفُ الصِبا المُتَصَرِّما
قالَ الَّتي كانَت سَمائِيَ في الهَوى   صارَت لِنَفسِيَ في الغَرامِ جَهَنَّما
خانَت عُهودي بَعدَما مَلَّكتُها   قَلبي فَكَيفَ أُطيقُ أَن أَتَبَسَّما
قُلتُ اِبتَسِم وَاِطرَب فَلَو قارَنتَها   قَضَّيتَ عُمرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّما

الحوار السابع

حاجتنا للمقدسات

الاكبر ـ انا وغيري من أفراد المجتمع نقول بأنكم يا شباب تشعرون بفقدان الأمل حتى قبل بدء دورة الحياة عندكم ككبار.

الاصغر ـ ولماذا تقول ذلك؟ نحن الشباب لدينا أمل ولكن ليس على مقاساتكم ومسطرتكم الجيلية.

الاكبر ـ كلما اتحدث، أو يتحدث أحد من كبار الدار معك حول مستقبلك أو مجريات الحياة عامةً ترانا نسمع منك مفردات القاموس الشبابي السلبي نفسها، وفي الحقيقة إجابتك تتضمن مفردات ملئوها الخيبة ومدعاة للنكسة مثل «اختنگنه، روحي طاگه، نفسيتي تعبانه، ملينه، لعبانه نفسي، فكو ياخه عني، عوفني بحالي»!

الاصغر ـ ما أقوله هو للتنفيس وكذلك لأنه يعكس ما في خلجاتي من مشاعر وأحاسيس مكبوتة ومحبوسة.

الاكبر ـ وهل هذا يسمح لك بان تعكس تجاهنا عدم شعورك بالوئام المجتمعي أو حتى مع نفسك؟ نحن بشر مثلك ولنا أحاسيس مثلك؟ ولدينا مشاعر وتطلعات ونعيش تحت نفس السقف، فرحتي وراحتي أن أراك في وئام مع نفسك ومعنا ومرتاح البال.

الاصغر ـ وماذا تريد مني أن اعكس وأنا أرى قطار الزمن يمر بسرعة ومن دون مبالاة لأي دور لنا في التأثير عليه، فوجودنا كعدمه.

الاكبر ـ بخصوص أهمية الزمن، تذكرت شيئاً، دعني اسأل عن مفهوم أردت أن أسأل عنه منذ مدة ولم أجد له إجابة عندكم أيها الشباب؟

الاصغر ـ تفضل..

الاكبر ـ ماذا تعني عندك المقدسات؟.

الاصغر ـ لماذا تريد أن تعرف؟.

الاكبر ـ إحدى أكبر آفات العراق اليوم هو فقدان المجتمع أفراداً وجماعات احترامهم للكثير من مقدساتهم وبالتالي أصبحنا ضعيفي التمسك بمقومات المجتمع، مثل احترام الموقع المعين أو احترام المكان المعين أو احترام الشيء المعين، إذ علينا أن نحترمهم لا لشخصهم فقط بل لعنوانهم الوظيفي أو جغرافيته أو طبيعته.

الاصغر ـ ولكن الاحترام يُكتسب ولا يُعطى!

الاكبر ـ هذا صحيح لحدٍ معين ولكن يبقى العنوان حصناً ولو بقدر ضئيل.

فاحترام أبويك وبرهما يبقيان وإن كانت لك عليهم ملاحظات، ما يحصل في العراق الآن، ومن الكثير من العراقيين انفسهم، هو التسقيط المعنوي للكثير من مقدسات المجتمع.

الاصغر ـ لماذا تريد مني ان احترم شخصاً مسؤولاً اخل بالمال العام، او مكاناً دينياً معيناً تعدى على حقوقنا كمواطنين؟.

الاكبر ـ انا أناقش المبدأ ولا اريد ان ادخل في تفاصيل الأمثلة لأننا سوف نهدر وقتاً ثميناً من غير فائدة.

الاصغر ـ اتفق معك باننا فقدنا الكثير من القداسة للأشخاص والأماكن وحتى للمفاهيم مثل الاحترام والتقدير والاعتزاز.

الاكبر ـ المجتمعات لا يمكن ان تُبنى وتتطور الا اذا كان لديها أسس مشتركة متعددة متينة، لا ان يصعد فلان كنجم اليوم ويسقط غداً وهكذا.

نحتاج الى استقرار ذهني وروحي مع قاماتنا الفكرية او السياسية او المجتمعية او الدينية، الشيء نفسه مع الأماكن، فحرق او تدنيس الأماكن المقدسة شيء غير محمود ولا ينتج جيلاً ذا اساس قويم، وإباحة هتك كل شيء فعل غير مقبول او بنآء.

الاصغر ـ مثل ماذا؟.

الاكبر ـ انظر الى مواقع التواصل الاجتماعي، وحتى بين النخب في غرف ومجموعات التواصل، فالتسقيط للكثير من الاشياء اصبح شيئاً طبيعياً الآن وتم تدجين الأغلب عليه، فهتك كرامة او شرف او ذمة الاخر امر طبيعي بل يُشجع عليه، وكأننا في سوق او بورصة تسقيط وليس مجالس حوار او ديوانية افتراضية للنخب.

الاصغر ـ الا تراها كحالات خاصة ولا تعكس بالضرورة صورة المجتمع؟ اي انها ظواهر شاذة وليست ظواهر اجتماعية؟ فروح الشباب استناداً لطبيعتهم تعني الثورة والهيجان.

الاكبر ـ وان كنت لم ارغب بالدخول في التفاصيل ولكن سأعطيك مثالين مشخصين حدثا قريباً لأعكس لك حجم الخلل المجتمعي وكارثة فقداننا للمقدس، عندما تحدث نكبة، مثل شنق فتى يافع وسط مركز العاصمة ووسط جمهور شبابي كبير لظنهم بفعله شيئاً مشيناً، او غرق عبارة وسط نهر نتيجة سوء إدامة ويغرق فيها العشرات، من كل الأعمار، في يوم عيد مبارك، وتمر الايام والليالي ولا نرى مراجعة مجتمعية او حتى نخبوية للحادثتين وكأننا تطبعنا عليها، فهذا خلل كبير، وهناك أمثلة كثيرة في ذاكرتنا قصيرة الأمد والطويلة ايضاً.

الاصغر ـ وما علاقتنا نحن الشباب بهاتين النكبتين؟.

الاكبر ـ حديثي عن المجتمع والذي يشكّل الشباب فيه الان اكثر من النصف، عندما نتطلع الى هتك المقدسات، لا تنتظر بعدها إصلاح الأمور الا حين تعود للمقدس ـ المنتهك ـ قدسيته، فكرامة الانسان وروحه شيء مفروض ان يكون مقدساً، أنا لا انظر للتقديس كما يراه كهنة المعابد، وعليه ارى حجم المشكلة وعمق الخلل المجتمعي.

الاصغر ـ ارى بأنك أنت غير المتفائل ولست أنا؟.

الاكبر ـ ابداً، بل ارى عمق الخلل وضرورة البدء بالإصلاح بعد التشخيص ولعل اغلبها امور متعلقة بهتكنا المستمر للمقدس بمعزل عن اثاره السلبية، وكأني ارى اننا نعمق الحفرة التي نحن فيها.

الاصغر ـ وكيف تريد منا ان نبني، ونحن الشباب، لا نملك آليات البناء؟. ارجو ان لا نكون نحن معاشر الشباب مصداقاً للمثل الشعبي الدارج لتك العجوز التي توصي كنتها بعباراتها الشهيرة ـ كرصة خبز لا تكسرين وباكة فجل لا تفلين واكلي لما تشبعين!!.

الحوار الثامن

الحريات وفرص العمل

الاكبر ـ آليات البناء اخي الشاب موجودة وليس بعصي عليكم ايجادها ان توجهتم اليها.

الاصغر ـ أين موجودة هذه الاليات يا اخي؟.

الاكبر ـ في السابق كنا نقول ان ظروف الدولة البوليسية جعلتنا مستضعفين ولا حول ولا قوة لنا كمواطنين، بل كنا اقرب إلى قطع الشطرنج يتحكم بنا الحاكم وعائلته وحزبه الشمولي، أما الان فلدينا كل الحرية.

الاصغر ـ اي حرية تقصد، فحديثي معك طوال هذه الفترة مرتبط بتضييق الحريات وفسح المجال للجيل الصاعد!!.

الاكبر ـ ابدا، نعم نحن لم نهتم بكم كما تشاؤون، وقد اعترفت لك بذلك وهذا خلل كبير ولقد ضاعت فرص كثيرة، ولكن نحن لم نغلق عليكم الأبواب الأخرى لتتحركوا بمعزل عنا.

الاصغر ـ كيف؟ نورنا، الظاهر أنا والشباب كنا في غيبوبة ولم نر ما ترون؟.

الاكبر ـ سعيكم الدائم وتمسككم كشباب بالبحث عن العمل في القطاع العام جعلكم لا تتحركون وتستكشفون بما فيه الكفاية فرص العمل في القطاع الخاص، نعم ظروف القطاع الخاص كما بينت لي قد لا تكون مهيأة بالنسبة التي تريدونها ولكنها غير معدومة.

وفي الحقيقة نحتاج منكم ان تبينوا لنا الفرص والطرق والتكنولوجيا الموجودة وكيف من الممكن ان يُطور ذلك ويُفّعَل على وجهٍ يمكن الاستفادة منه بشكل اوسع.

الاصغر ـ إذن نحن المشكلة وأنتم الضحية، عجبي من قلب الحقائق واظهار الأمور وكأن الخلل فينا!!.

الاكبر ـ اراك ذهبت حيث تريد لا حيث ما أقول، اسمع، الان لديكم حرية الحركة والعمل والسفر والتفكير والتعبير ووو، لا تجنيد الزامي في جيش يحددكم، ولا ضرائب دخل تحددكم، ولا حتى منع عليكم الدخول لقطاع معين من قبل الدولة، الحرية موجودة، تحتاجون إلى توسيع آفاقكم والاستفادة القصوى من العولمة والتكنولوجيا الحديثة بمعزل عن الدولة والتوظيف في القطاع العام، والذي سميته أنت سجن التوظيف.

الاصغر ـ سميتها عبد الوظيفة يا اخي وليس بسجن التوظيف.

الاكبر ـ عندما اسافر الى بلدان اخرى وارى الشباب يعملون في كل القطاعات بعيدا عن القطاع العام، اسأل نفسي لماذا لا نرى شبابنا العراقي يعمل الشيء نفسه؟ علما بان حرية الحركة في العراق اوسع من حريتها في تلك البلدان التي ازورها؟.

الاصغر ـ لا اعرف اي بلد تقصد، ولكن انا متأكد بانك لم تدخل في تفاصيل دعم الدولة لهم.

الاكبر ـ قد يكون كذلك، ولكن دعني أقول لك بان السعي المستمر لدخول القطاع العام شيء مضر لكل الأطراف الى حد ما.

الاصغر ـ اتفق معك ولكن دعني أقول بان الأمور لا تتعلق بموضوع ضمان الدخل المادي فقط.

الاكبر ـ كيف؟.

الاصغر ـ مع التوظيف، ترى فرص الزواج تزداد، إمكانية الاقتراض تزداد، الاطمئنان النفسي للعائلة كلها بخصوص التقاعد يزداد وغيرها من تسهيلات الدولة مثل توزيع قطع الأراضي، ووو، اي بالحقيقة الدولة هي نفسها بإجراءاتها تشجع على زيادة الترهل فيها، حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا.

الاكبر ـ ما تقوله صحيح وقد يكون عدم وجود نظرية اقتصادية ساعدت على هكذا منهج مدمر للدولة نفسها، الترهل الان يعني باننا لدينا ثلاثة أضعاف حاجة الدولة للموظفين، وعليه لن نستطع ان نستثمر في اي مشروع استراتيجي ويكون وضع البطالة المقنعة هو ما نراه في دوائر الدولة ومؤسساتها، اي الدولة تتآكل من الداخل وعملية التصحيح المطلوبة تحتاج الى مستلزمات سياسية وقيادية مختلفة، وقد لا تكون موجودة الان.

الاصغر ـ اي مستلزمات؟ ما حدث كان نتيجةً لسوء الإدارة وترسيخ التيه المجتمعي بدل الخروج منه.

الاكبر ـ سابين لك المستلزمات، من وجهة نظري المتواضعة، ولكن قبلها لماذا دوما تستخدم مفردة التيه وكاننا بني اسرائيل قوم نبي الله موسى عليه السلام؟.

الاصغر ـ لا اعتقد سترتاح لما قد اقوله في هذا الموضوع.

الاكبر ـ صحيح لم نتصارح منذ مدة، وصحيح حديثنا في الايام الاخيرة كان وقعه مؤلماً علي ولكني اراه ضرورياً ومفيداً كتجرع دواء مر الطعم، على كل حال اود ان استمع لاعتقادك في هذا الموضوع؟.

الاصغر ـ سأتحدث عنه ولكن بعد تغطية موضوع العمل وفرص توفيره لنا نحن الشباب.

انا بينت لك في أحاديثنا السابقة ماذا نريد ان تهيئ لنا الدولة كي تزداد فرص النجاح لسعينا.

الاكبر ـ نعم ولكن انت لا ترى ما الاحظه واواجهه وانا داخل جهاز الدولة.

الاصغر ـ نورنا!.

الاكبر ـ وماذا عن فهمكم لموضوع التيه ومقارنتنا بقوم موسى عليه السلام؟.

الاصغر ـ سأفعل ذلك، وعداً مني، ولكني قبلها اود ان ابين لك طبيعة مستلزمات ما نحتاجه نحن الشباب للعمل في القطاع الخاص وطبيعة ذلك النوع من العمل، اذ ليس طموحي ان افتح متجراً مثل الاف الشباب العراقيين.

الحوار التاسع

ريادة العمل، الحل الامثل للشباب

الاكبر ـ اخي الشاب، ما هي طبيعة العمل الذي ترغب ان ترتزق منه؟ وفي اي قطاع، قطاع عام ام خاص، وكيف استطيع مساعدتك؟ فانا مهموم بجلوسك معنا في الدار من غير مورد او عمل تستفيد منه وتفيد، فما فائدة الدراسة إن لم تستثمرها في رسم طريق مستقبلك؟ الديك طموح؟.

الاصغر ـ بالتأكيد لا اريد العمل في القطاع العام، والذي سميته بعبيد الوظيفة، وبالطبع لا اريد ان افتح متجراً عادياً وابيع فيه بضائع يبيعها غيري في كل مكان.

اما بخصوص الدراسة، فذلك حصل نتيجة ضغوطات مجتمعية وكذلك لأني لم اعرف ماذا اريد او كيف احصل عليه، وفي الحقيقة في العراق لا تحتاج الى مجهود جبار لتنجح وتحصل على شهادة جامعية تساعدك في الزواج او الحصول على راتب افضل في القطاع العام.

الاكبر ـ ماذا تريد ان تعمل اذن، فتاّح فال؟.

الاصغر ـ على مهلك يا اخي ولماذا السخرية؟ انا وغيري من الاصدقاء نتناول الحديث وتبادل الافكار في برنامج عمل اخر غير مألوف تعلمناه عن طريق النت (الشبكة العنكبوتية) والتواصل مع اخرين خارج العراق.

الاكبر ـ اخرين! من هم وما جنسيتهم؟ وماذا يريدون منكم؟ انا لا ارتاح لمن هم خارج الحدود او الذين هم داخل الحدود وفي تواصل مستمر مع السفارات المشبوهة وبرامجها التنموية او الشبابية.

الاصغر ـ الاخر، اخي الكبير، رجال اعمال او من لهم صلة بالعالم الخارجي ويستكشفون حاجة السوق العراقية وكيفية استغلال هذه الحاجة للمنفعة المشتركة؟ وخصوصا من خلال استخدام التكنولوجيا المتطورة، وبالمناسبة فان السياسة هي اخر ما نفكر فيه.

الاكبر ـ يعني امتيازات لبضائع من الخارج؟.

الاصغر ـ لا بل خدمات من نوع اخر، يسهل على المستهلك استعمال الهاتف او النت او غيرها من اليات التواصل بمعزل عن زيارته للمتجر او حاجته لعناء السفر، ولكن هذا لا يحصل من دون مجهود كبير نتيجة المعوقات الطبيعية والاصطناعية التي تقف امامنا، الروتين القاتل، وضعف النت، وكذلك عدم وجود بيانات واضحة او دقيقة، وعليه علينا التأكد من كل معلومة بأنفسنا.

الاكبر ـ ما هو المنهج المتبع هنا؟.

الاصغر ـ هنالك حاجة لأسس جديدة على سوقنا العراقية وهي مرتبطة بمهنة الريادة في السوق في هذه القطاعات، وقد تكون قطاعات جديدة، او اعادة تأهيل القطاع الحالي.

الاكبر ـ ماذا تعني بالريادة؟.

الاصغر ـ اقصد شيئاً لم يمارس سابقا، او لم يسوق له في العراق من قبل.

الاكبر ـ وماذا يحتاج ذلك؟ وبماذا يختلف؟.

الاصغر ـ هنالك حاجة للمخاطرة كونها جديدة، وكذلك للأبداع كونها لم تطرح من قبل، وهنالك حاجة لرؤى جديدة لهذا القطاع (الجديد او المستهلك) واخيرا هنالك حاجة لتنظيم هكذا امر جديد، المال والجهد وحرق الاعصاب اضافات ضرورية؟ ريادة الأعمال هي عملية تصميم وبدء وإدارة عمل تجاري جديد والذي غالبًا ما يكون مشروعًا صغيرًا في البداية ويكبر بسرعة، انطلاقة صاروخية حسب الدراسات الاولية وسعة السوق العراقية، طبعا ان لم تعترض مافيات السوق او توقف مشروعنا.

الاكبر ـ يعني انتم تجدون طلباً لخدمة او هو موجود اصلا وانتم تلبون الحاجة؟.

الاصغر ـ مثلا هنالك شركة اجنبية لديها القدرة على إيجاد الفرص والعمل على ترجمة الاختراعات أو التقنيات إلى منتجات وخدمات للاختراع وتنظيم رأس المال والموهبة والموارد الأخرى التي تحول الاختراع إلى ابتكار قابل للتطبيق تجاريًا، وعليه يجب ان تكون لنا بعض المغامرة وممارسة الاعمال التجارية الجديدة او المبتكرة.

الابتكار هنا يسمح لنا في خلق حاجة جديدة، والتغلب على التهديدات الكلاسيكية مثل محاولة التنافس مع الاخرين، وهنا نرى الفرصة في تجاوز مافيات السوق.

الاكبر ـ لم افهم، ماذا تبيعون؟.

الاصغر ـ يمكن أن يكون هذا الابتكار منتجًا جديدًا او خدمة او تكنولوجيا او تقنية إنتاج جديدة او حتى استراتيجية تسويق جديدة وهلم جرا.

الاكبر ـ ولماذا لا تفكر بعمل بسيط وتوسعه لاحقاً، مثل متجر لحاجة يحتاجها الناس، او وكالة من شركة اجنبية، لا دور للأجنبي ولا خسارة للمال او السمعة اذا فشلتم؟.

الاصغر ـ لأننا نحب المغامرة، والفشل جزء من تجربة الحياة، ولأننا لا نريد المألوف، وما نحتاجه هو تطوير امكانيات الادارة والتسويق وتنظيم المال وموارده.

نحتاج الى رؤية واضحة للحاجة او لخلق حاجة وعليه فمن الضروري ان نتعلم من الاخرين وان لم يكونوا عراقيين.

من المعروف أن جميع رواد الأعمال العظماء في العالم الذين بدأوا نشاطا تجاريا لريادة الأعمال لديهم رؤية رائعة وواضحة وهذا يساعدنا في تحديد أهداف قصيرة المدى وطويلة الأجل لأعمالنا نحن الشباب، وكذلك لتحديد خارطة طريق وتخطيط لهذه التجربة لتحقيق تلك الأهداف الجديدة.

الاكبر ـ هل يعني هذا ان مشروعك طور التكوين فقط، وانك لا تعرف كم ستحتاج من رأس المال؟ هل انشأت شركة لهذا المشروع؟.

الاصغر ـ نعم طور التكوين، وعليه سأحتاج دعمك في الاعمال الروتينية مثل اجراءات الدولة وغيرها؟.

الاكبر ـ بالخدمة ولكن ضروري ان تعرف ان الفشل ممكن ان يحدث وعليه لا تنزعج اذا قلت باني لم اقتنع بما قلت.

الاصغر ـ الفشل على المدى القريب يعني النجاح على المدى البعيد، المهم اصبروا معنا ولا تستعجلوا بالنتائج، فالعراق له اسواق واعدة ولكن بطريقة اخرى غير ما يسوق له في المؤتمرات الحكومية.

الاكبر ـ كيف يعني؟.

الاصغر ـ يعني علينا ان ندخل التكنولوجيا الجديدة، وان نفكر خارج الصندوق، وان نحاول ان نقفز بطفرة تكنولوجية وليس بابداع نمطي كما هو معهود، اي ان نسبق سوق المنطقة ولا نحاول مواكبته لأننا تخلفنا كثيراً.

الاكبر ـ تقصد ما اسمع عنه من عولمة وذكاء اصطناعي وغيرها من امور تلوث البيئة والبال.

الاصغر ـ نعم، ولكن شرحه ليس كما يُخيل لكم انتم معاشر الشيبة وكبار العمر.

العولمة لا تعني الانحراف عن المبادئ او اي شيء من هذا القبيل.

الاكبر ـ نورنا يا متعولم؟.

الاصغر ـ سأفعل ولكن لدي لقاء مع صديق يمر بأزمة عائلية حادة لم التقِ به منذ مدة ووعدت أخاه ان ازوره.

الاكبر ـ اذهب فالصديق بحاجة لك وانت بحاجة للصديق.

الاصغر ـ في امانة الله

الاكبر ـ ليحمك الله تعالى وباقي الشباب من امثالك.

الحوار العاشر

السياسة غاية ام وسيلة؟

الاصغر ـ مساكم الله بالخير والايمان.

الاكبر ـ الله بالخير.

الاصغر ـ اخي الكبير هل السياسة عندكم غاية ام وسيلة؟.

الاكبر ـ السياسة شيء نبيل وان تم تلويثها بشتى النعوت.

الاصغر ـ لم تجبني؟.

الاكبر ـ اود ان اعرف ما هو مفهوم السياسة عندكم اولاً؟.

الاصغر ـ كونك شخصاً حزبياً ومن رجالات الحكم، اعتبرني شاباً دخل احد مقرات الحزب او الحركة التي أنت تنتمي لها وقال اريد ان ادخل معكم في السياسة ولكن قبل ان افعل ذلك لدي سؤال بسيط حول طبيعة السياسة، أهي وسيلة ام هدف؟.

الاكبر ـ وماذا تعتقد ستكون اجابة اخيك الكبير إذا حصل هكذا سيناريو وان لم يمر علي سابقا؟.

الاصغر ـ لم يمر لان الأغلب يعتقدها غاية ولهذا نرى دخول الكثير من الوصوليين للسياسة والحكم في العراق.

الاكبر ـ إذن أنت حكمت قبل ان تُعرّف لي عن فهمك للحالة او حتى ان تسمع مني الإجابة، اعرف إنكم أيها الشباب قليلو الاستماع ومتسرعون في الحكم الجماعي او تصدقون الصورة النمطية عن السياسي وخصوصا في عراقنا الحالي. لماذا سألت إذن؟.

الاصغر ـ كلا، اريد ان اعرف منك ومن شخصك بالذات، وليس من الحالة العامة، اعرف بانك لم تكن وصولياً، واعرف بانك كنت ومازلت تحمل مبادئ، أنا متيقن منها، مثل باقي الشباب.

الاكبر ـ متيقن من ماذا؟.

الاصغر ـ متيقن ان الذين يدخلون ميدان السياسة أشخاص يهمهم منفعتهم الشخصية وبعدها منفعة الاقارب والحلقة القريبة منهم وبعدها منفعة الحزب الذي ينتمون اليه وبعدها منفعة مكونهم او المنطقة التي يسكنون فيها بالكاد تنفعهم مصلحة الوطن بشكل عام.

الاكبر ـ ما شاء الله (خلف الله عليكم!) أدخلتم الوطن بالمعادلة، ولو بالكاد جزاكم الله خيراً!.

الاصغر ـ لا تستهزئ بي اخي الكبير، أنا عكست لك ما اؤمن به أنا وغيري، وان كانت الحالة او الواقع شيء اخر، فعليكم تغيير ذلك النمط الذي تجلى في مخيلتنا بعد حراك طويل بين أفراد المجتمع ورجال الحكم.

الاكبر ـ ومن خولكم الحديث باسم المجتمع؟ هل انتُخبتم ولم اعرف بذلك؟ او حصل استفتاء شعبي ونحن لا نعرف به؟ او تعتمدون في فتاواكم على ولايتكم على باقي أفراد المجتمع؟.

الاصغر ـ لا تغير الموضوع، وسامحني ان قلت لا تتهرب من الإجابة، اعود للسؤال، هل السياسة عندك او عندكم غاية ام وسيلة؟.

الاكبر ـ أكيد وسيلة، لانها لو كانت غاية فذلك يعني باننا نؤمن بالميكافيلية وإننا نريد ان نحكم بمعزل عن نظرية الحكم او بمعزل عن الرغبة في خدمة المجتمع، عجيب امركم، تجردون الآخر من انسانيته ومبادئه وقيمه وعقيدته السياسية او الفكرية لأنه لا يتماشى مع فهمكم البسيط للسياسة.

الاصغر ـ إذا كان للخدمة، فنحن لا نحتاج ان نفهم الدوافع بل النتائج فقط، والنتائج لا تعكس إنكم اردتم خدمتنا وان ما فعلتموه هو خدمة منافعكم السياسية فقط!، ففي العراق لا يوجد يميني او يساري او وسطي في مسطرة السياسيين في الحكم بل كلكم مرتبطون بالمال والمنفعة الضيقة بمعزل عن منفعة الوطن.

الاكبر ـ مرة أخرى أدخلتم الوطن، ولكن هذه المرة تتحدثون باسمه، وكأنكم تحتكرون صوته وتمثلونه.

الاصغر ـ ومن جانب اخر إذا كانت السياسة للخدمة فلماذا لا نرى حراكاً فكرياً او برامج حزبية قائمة على عقيدة سياسية في الانتخابات؟ او لماذا لا نرى احزاب معارضة ولو لبضع دورات لكي يتبين للجمهور من هو النفعي من المبدئي؟ او لنفهم ماذا تعني المعارضة السياسية، او ان نرى سياسياً لم ينتفع ماديا من مداولته السياسة؟.

الاكبر ـ ما شاء الله اعتراضات كثيرة وسيل من النتائج من دون مقدمات، كيف تريد مني ان اجيب وأنت ترمي علي تهماً ونتائج وقناعات مترسخة عندكم؟ اتعجب كيف لم انتبه لهذه المدة من سلبيتك تجاهي؟ وكيف سمحت لنفسك ان تعيش تحت السقف نفسه الذي يعيش تحته شخص وصولي او غول لا يعرف شيء غير منفعته الشخصية؟ واسمح لي ان أقول كيف تشرعن لنفسك مشاركتنا في الأكل وأنت تحّرم مصدر مواردنا؟.

الاصغر ـ مهلك يا اخي، أنت طلبت المصارحة، ومن جانب اخر لم اتهمك أنت بل استفسرت منك شخصيا لكي ارتاح.

الاكبر ـ يعني كل هذه المدة وأنت تكبت في نفسك كل هذه الأمور، هل أبدأ بالإجابة؟.

الاصغر ـ تفضل نورنا كما قلت عني ليلة امس.

الاكبر ـ جميل، أرجو ان لا تقاطعني لكي لا تقطع سلسلة افكاري، واعدك باني سأحاول ان اجيب على ملاحظاتك المبعثرة القاسية التي لا تستند على حقائق، بل اكاذيب وانطباعات وإشاعات.

الاصغر ـ يعني هنالك سياسيون فقراء معكم في الحكم، دلني عليهم لأطلب من الشباب جمع تبرعات لهم! انني امزح معك اخي والله فلا تهتم لمداخلتي الاخيرة، فهي كانت حسرة واستغراب وخرجت من دون وعي.

الاكبر ـ في المستقبل اجعل عقلك الظاهري مهيمناً على عقلك الباطني، لتعكس بانك تتحكم بمشاعرك.

الاصغر ـ تفضل، ومنكم نتعلم.

الاكبر ـ السياسة عملية ليست بالجديدة على البشرية وهي بقدم إنشاء الحكومات والكيانات المعنية برعاية الجماعة وبعدها المجتمع.

ومن جانب اخر فان السياسة وسيلة لأنها تساعد في الوصول إلى هدف أسمى وهي خدمة المجتمع بأفضل الطرق، اي هي إتقان فن الممكن لمعرفة كيفية تحديد أفضل الطرق للوصول للممكن، طبعا هذا سيعتمد على عدة أسس ومقومات نجاح.

الاصغر ـ اخي أخي، أنت تتحدث عن القواعد النظرية والمثالية وأنا اتحدث عن الواقعية العراقية.

الاكبر ـ وهل أنا اسكن او اعمل في كوكب المريخ؟ أنا واقعي بل اكثر منك واقعية وفي وسط المعمعة، ولكن حاولت ان ابين لك الأسس والمنطلقات قبل شرح واقعنا ولماذا هناك سوء فهم او عدم فهم او حتى تجني علي وعلى الزملاء في العمل السياسي؟.

نعم هناك فوضى سياسية او عدم وجود فكر سياسي نتيجة استثنائية الحالة العراقية، وهناك رغبة او تخوف عند الكل من اقصائهم إذا ذهبوا للمعارضة، وهناك قراءة بان الحكومة الائتلافية تعني مشاركة الكل مقابل التنازل عن بعض عقائدهم او فكرهم السياسي لكي يسير قارب الحكومة ولا يتوقف فندخل في انسداد او دوامات نحن في غنى عنها.

الاصغر ـ وماذا عن الغنى الفاحش، او سوء استخدام السلطة او الوصولية او تجاوز القانون تحت ذريعة مصلحة المكون او غيره من فهم المجتمع عنكم؟.

الاكبر ـ وهل أنا فاحش الغنى، او سمعت باني تجاوزت على الحق العام، او ابحث عن الوصول او تجاوزت على الحق الخاص؟ هل سمعت عني شيء مخجلاً او معيباً؟ ولماذا تستهدف السياسي وهناك خلل في قطاعات مجتمعية أخرى، مثل رجال الأعمال وغيرهم؟.

الاصغر ـ أنا اتحدث عن انطباعات، فلا تحرجني يا اخي الكبير.

الاكبر ـ تفضل ولك الأمان والحرية.

الاصغر ـ نتحدث لاحقاً اخي الكبير، واضح ان الإرهاق اخذ منك مأخذه وسنتحدث لاحقاً ان شاء الله بعد ان ترتاح.

الحوار الحادي عشر

الشباب والقيم، حاجة كمالية أَم ضرورية؟

الاصغر ـ اخي الكبير، اراك مهموماً، وكأنك في صدمة، خيراً ان شاء الله.

الاكبر ـ في الحقيقة أنا في صدمة، بعد حواراتنا الاخيرة، أردت ان أتأكد من ما تقوله او تنوه عنه عن قناعات الشباب، فسألت شاباً اثق به يعمل معي كملاحظ في المؤسسة وقلت له اريد منك ان تأتي لي بملخص اجابة على سؤال تسأله لزملائك الشباب، ماذا تعني القيم عندكم؟.

الاصغر ـ جيد، مبادرة جميلة وتعكس اهتمامك بحواراتنا وكذلك رغبتك بتوسيع فهمكم للواقع الشبابي، بماذا اجاب؟.

الاكبر ـ أعطاني ورقة كتب فيها ملخص الآراء.

الاصغر ـ ماذا تقول هذه الورقة؟.

الاكبر ـ تفضل اقرأها فانا لا اريد ان اقرأها للمرة الخامسة.

الاصغر ـ شكرا، سأقرأها بصوت عالٍ: سؤال: اخي الشاب هل عندك قيم؟ وما هي؟.

مختصر الإجابات:

الحرية، قيمة اختلف مصداقها الحالي عن مفهومها الموروث واصبح يحق لنا فعل أي شيء دون توقف عند حدود.

الطموح هو الغاية التي تبرر الف وسيلة.

الشباب كيان لا يعترف بالخوف الموروث وفي الوقت نفسه لا يحترم سوى تجربته.

ينبذون التقليد ويسعون للتجديد دون فهم او استيعاب او حتى معرفة حدوده.

الحب والأواصر الاجتماعية، بمعنى ان اغلب عواطف الشباب اصبحت إلكترونية، فالدخول اصبح بضغطة زر والخروج بـ (بلوك).

الشباب يهوى كلمة «التحدي» ويعشق تجربة الممنوع والخطر ويجازف حتى بحياته من اجل ذلك.

بالمناسبة، التطرف الحياتي اصبح قيمة ملفتة للنظر او للشهرة في شريحة واسعة من الشباب.

وعليه، فأن قيم الشاب العراقي الان تتلخص بـ:-

1 ـ كيفية حصولي على تجربتي الخاصة.

2 ـ الخوض في مختلف المجالات لتحقيق أحلام مادية اكثر مما هي معنوية.

3 ـ نعم ورثنا منكم ايها الكبار الكثير من القيم النبيلة ولكن عذراً لدينا واقعنا وحاجتنا ورغبتنا في خلق تجربتنا الخاصة في زمن ومعطيات وظروف تختلف عن زمنكم، إذن احتاج المال في كفة والقوة في كفة أخرى.

4 ـ لا اعلم ماذا كسبتم من قيمكم القديمة وما الذي اوصلتكم اليه، ولا اريد ان اعرف.

وأخيرا أقول، تبقى الثوابت عندكم مجرد متغيرات عندنا.

ماذا فهمت منها يا اخي الكبير، فانا اسمع بهذه الآراء والنظريات والممارسات يوميا وعليه اتحدث عن التيه وفقدان البوصلة المجتمعية القيمية كما تحدثت لي انت عنها.

الاكبر ـ بالمختصر فهمت منها ان:

1 ـ القيم مكتسبة وليست موروثة.

2 ـ القيم تركيبة غير متجانسة، اي ثقافات العراقيين بين دخيلة ومحلية ودولية مثل العولمة.

3 ـ قيم الواقع شيء، والقيم المثلى شيء اخر، والخلف الصالح امر غير محمود عند الشباب.

4 ـ منطلقات القيم مادية اقتصادية وليس فكرية او ثقافية او حتى اجتماعية.

5 ـ صاحب المال والسلطة يحكم بمعزل عن ضحالة او علو قيمه، وهذا شيء محمود عندكم أيها الشباب.

6 ـ وأخيرا لا ارى الاتفاق على ثقافة معينة، بل هي اقرب لمقولة غوار الطوشي، كلمن ايدو الو، بعد هذه اكو طرگاعة اكبر!!

الاصغر ـ ارى بانه فهم دقيق ويعكس نبض الشارع، وعليه كنت احاول ان اعكس لك عمق الفجوة بيننا، وضرورة ردمها.

الاكبر ـ الظاهر ان هذه المشكلة لم تأتِ من فراغ ولا بين ليلة وضحاها وعملية اصلاحها تحتاج الى مجهود كبير، وهو اقرب لمشروع قومي/ وطني ولهذا أنا مصدوم بهول التحدي هنا.

الاصغر ـ ومن قال يا اخي الكبير انها عملية طارئة او ستعالج بإعطاء الشباب عنواناً وظيفياً، لا تنسى ان الإجابات أعلاه اتتك من شباب يعملون في القطاع العام وبدخل جيد، يعني الحيرة والتشوش الذهني يشملهم أيضًا.

الاكبر ـ هم يعيشون ارتباكاً قيمياً ووجدانياً واضحاً، وهم اغلب جمهور المجتمع، والعراق شعب شبابي بإمتياز.

سأنقل هذه الملاحظات للمسؤولين وباقي المعارف من رجالات المجتمع التي من الممكن ان تؤثر على واقعنا، عسى ولعل!.

الاصغر ـ وهل تعتقد ان حلقة علاقاتك تكفي، او انها ستعالج بمقولة خطيب مسجد او خطاب مسؤول في مؤتمر محلي، او ما شابه ذلك؟.

الاكبر ـ أكيد لا، ولكن هذا ما اعرفه، فانا أعيش الصدمة ومع الصدمة اي اجراء يريحني بمعزل عن تأثيره، ماذا تقترح كونك خارج إطار الصدمة؟.

الاصغر ـ وهل ستقبل مقترحاتي؟.

الاكبر ـ سيعتمد على مدى تطابقها مع قناعاتي ومبادئي والمصلحة كما أراها؟ طبعا سأعكس لك فهمي لماهية القيم لأبين لك الوجه الأخر من هذه المعادلة المختلة.

الاصغر ـ سأقول ما في جعبتي، وسأنتظر وجهة نظركم حول موضوع قيم المجتمع.

الاكبر ـ تفضل، أتحفني.

الاصغر ـ نتحدث الليلة ان شاء الله.

الحوار الثاني عشر

القيم النبيلة بوصلة لإعادة البناء

الاصغر ـ مساء الخير اخي

الاكبر ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، مساكم الله بالخير والايمان عزيزي.

الاصغر ـ بخصوص ما سمعت من جنابكم عن الشباب وفهمهم للقيم، هل عبرت مرحلة الصدمة الان؟.

الاكبر ـ انها ليست صدمة بالعنوان الطبيعي للصدمة، بل هي اقرب إلى حسرة وحزن وألم اشعر به وأنا ارى شبابنا يطلق سراح القيم ولا يتمسك بها ويعتبرها امراً كمالياً وليس حيوياً وضرورياً للإنسان واحترام نفسه.

الاصغر ـ كل هذه الأهمية للقيم، بينما انا وغيري للاسف نراها شعارات او مثل اقرب للخيال من كونها بوصلة اخلاقية كما تبين الان، وكيف تكون بوصلة ونحن لا نميز الشمال من الجنوب، او المحيط من المركز.

الاكبر ـ الانسان منا يعيش في محيط اجتماعي، وعليه نحتاج إلى قيم لنطبقها او نسعى للوصول اليها، وهي تحدد حركتنا وغاياتنا، وعليه فأن القيم تعني القواعد الثابتة وبدوام

الاستمرار عليها نعرف ان نجحنا في حياتنا ام لا، طبعا استخدمت كلمة الانسان لان القيم هي ما تميزنا عن المخلوقات الأخرى كالحيوانات.

الاصغر ـ ولكن نحن كبشر نختلف في قيمنا وخصوصا إذا عبرنا الحدود والقارات.

الاكبر ـ هذه الاختلافات بعضها جوهري والبعض الآخر طفيف، وتختلف الحضارات في قيمها وان لم تختلف الاديان او الاخلاقيات كثيرا فيها وذلك لأنها موجهة بشكل نحو توحيد سلوك وعمل البشرية بخطوط متوازية تتقارب في بعض النقاط الى درجة الاتحاد.

الاصغر ـ ولكن هنالك دولاً دينية او ذات منهج اقتصادي صارخ في اختلافه عن دول أخرى مدنية/علمانية او ذات نظرية اقتصادية شمولية، ولماذا هذه الأهمية؟.

الاكبر ـ صحيح، ولكن أهميتها تأتي لأنها تسهم في بناء وتكوين الانسان، وخصوصا في بناء شخصية قوية ناضجة متماسكة ذات مبدأ واضح.

الاصغر ـ تقصد بانها تبين لنا من يستطيع ان يضبط إيقاع نفسه عن الأخر المتهور؟.

الاكبر ـ نعم لأنها رادعة للشخصية، وتساعد على خلق التوازن الشخصي والوئام مع النفس والمحيط، وكذلك لأنها تعطي الانسان الزخم والحيوية للشعور بالمسؤولية وبالنتيجة تعطيه القدرة على كسب الثقة واحترام ومحبة وتقدير الاخرين وان لم يتفقوا معه.

الاصغر ـ إذن هي اهم للشخص من المجتمع؟.

الاكبر ـ هي مهمة للمجتمع ايضاً، لأنها تحدد النمط العام للمجتمع والمفاهيم التي تراقب نفسها اثناء حركتها.

الاصغر ـ وكيف نستطيع ان نوحد قيم المجتمع العراقي وهي كما سميتها «طرگاعة» كبيرة؟.

الاكبر ـ نحتاج إلى منهج واضح ويشتمل على عدة أساليب وسبل، الإقناع الفردي والجماعي، ايجاد القدوة الحسنة وأبرازها، تصفية او اعادة تأهيل القوانين المعنية بترسيخ القيم النبيلة، المنابر والدور المهم للمنظومات الدينية وغيرها، وضروري ان لا ننسى دور الاعلام الحكومي والأهلي، فهو كما تعرف يدعى بالسلطة الرابعة.

الاصغر ـ يعني تتحدث عن مشاركة كل أطراف المجتمع في تثبيت شيء وهم إما لم يلتفتوا الى أهميته او هم انفسهم شاركوا في ترسيخ اهم مرتكزات اخطاءه فيما سبق، تطلب الكثير يا اخي الكبير!.

الاكبر ـ نعم الكل، كون مصادر القيم هي المنظومة الاخلاقية الدينية للمجتمع وعقل الانسان الراجح، اذ ليس من المعقول ان نطلب من طائشي العقل ان يحددوا هذه القيم.

ومن جانب اخر فان القيم شيء مرتبط بوجدان الانسان ودرجة معرفته وعلوها ورشد سلوكه.

وهل اطلب منك الكثير عندما تزور صاحبك المريض وتكون وفياً معه؟.

الاصغر ـ نعم ارتحت كثيرا لزيارته وان كان وضعه النفسي صعبا جدا، بالمناسبة هل تدعو لإعادة القيم السابقة ام تود إنشاء قيم جديدة حسب الظروف والتطور البشري او تخلفه؟.

الاكبر ـ القيم عموما شيء يكتسب من البيئة وليس وراثياً، وفي واقعنا علينا تحديد الأوليات من القيم، فليست متساوية كلها او ذات تأثير مشابه.

الاصغر ـ وما هي القيم المهمة التي ترى ان نعطيها الأولوية في هذه المرحلة؟.

الاكبر ـ سؤال صعب الإجابة عليه لأنه يحتاج إلى ادراك واسع وكما ترى، في موضوع الشباب، الظاهر باننا كنا خارج التغطية من حيث لا نعلم، ولكن لو خيرت الان لأقول بان الإيثار، النزاهة، الامانة، الصدق، الإخلاص، وأخيرا الشفافية هي ما ادعو الى ترسيخها.

الاصغر ـ قائمتك طويلة يا اخي وصعبة المنال وان كنت اعتقد بانها مشابهة لما نسمع عنه في المجتمعات الراقية.

الاكبر ـ طويلة لكوننا مهد الحضارات وكذلك لعمق التحدي وتعقيده، ولعل الأهم هو ان نحتاج إلى هذا الكم والنوع لنعطي الشباب بصيص الامل ليكونوا محركي التغيير ومعشقوه في ميكانيكيا الأجيال القادمة لديمومة الحركة وتطور الطاقات، فهل تريد لأولادك، ان شاء الله بعد الزواج، ان يتربوا في مجتمع مختل البوصلته؟.

الاصغر ـ نعم اتفق معك، ما احوجنا لهذه القيم النبيلة، احتاج ان اخرج الان، في امان الله.

الحوار الثالث عشر

الحياة أمانة

الاكبر ـ أين أنت يا اخي الشاب، انتظرتك ليلة امس وطوال اليوم ولم تجب على الهاتف او تترك خبراً عند الأهل عن مكان وجودك، أقلقتنا عليك وشرد بنا الظن حيث لا نحب او نريد.

الاصغر ـ السلام عليكم، كنت مع الأصدقاء في دار صديقي الذي تحدثت لك عنه.

الاكبر ـ وعليكم السلام، خيراً ان شاء الله، هل وضعه في تحسن ام ماذا؟ ولماذا لم تترك لنا خبراً عنك كي لا نقلق عليك؟.

الاصغر ـ صديقي انتحر ليلة امس، شنق نفسه في غرفته، وعائلته عرفت بالحادث بعد حين.

الاكبر ـ إنا لله وإنا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة الا بالله، انتحر؟ّ! يعني ارتكب اثماً كبيراً بل من أكبر الكبائر، وقد قال الله جل وعلا في كتابه: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا• وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ صدق الله العلي العظيم. (النساء: 29).

الاصغر ـ اخي نحن في حال وأنت في حال اخر، صديقي مرّ بأزمات نفسية حادة ومنذ

مدة لم يكن بوضع طبيعي سليم، هذه ثالث محاولة انتحار، عائلته في وضع محزن وخطيبته منهارة ايضاً.

الاكبر ـ يعني كان على أبواب زواج، وشاب وعنده أصدقاء وفي مقتبل العمر وينتحر؟! عجيب وضع شباب هذا العصر، في زماننا لم يكن لنا وقت لنفكر في شيء عدا ايجاد لقمة العيش والابتعاد عن اجهزة الدولة وزبانيتها. فضلاً عن ان الانتحار يعني جلب وصمة عار للعائلة، انها قمة الأنانية وفقدان الامل برحمة الرحمن ولطفه.

الاصغر ـ اخي العزيز، جنابك تنظر للمشهد من زاوية معينة، واسمح لي ان أقول بانها مثالية وضيقة، ونحن الشباب نرى الحالة من زوايا أخرى وبواقعية.

الاكبر ـ يعني أنت فكرت او حاولت الانتحار؟ حاولت، فكرت؟ اجب!.

الاصغر ـ كلا ابداً، ولكن لدي أصدقاء فكروا ولدي معارف او معارف أصدقاء انتحروا، شباب وشابات.

الاكبر ـ يعني ماذا، موضة، ظاهرة، شيء شائع عند الشباب؟.

الاصغر ـ يعني شيء غير غريب او شاذ جدا.

الاكبر ـ العياذ بالله، وكأني كنت في كوكب اخر او انتم نزلتم من كوكب اخر، ما هذا البطر والاستخفاف والنكران او الطغيان على نعم الله.

الاصغر ـ لماذا تدخل الأخلاق والدين في هذا الموضوع؟ كما قلت لك هذه مثل ولا علاقة لها بالواقعية.

الاكبر ـ دين، أخلاق، غير واقعية، ماذا دهاكم؟ وفي أي وادٍ انتم؟.

الاصغر ـ ممكن ان تقلل من توترك لكي نتحاور وان كنت أنا الضحية هنا كوني فقدت صديقاً عزيزاً علي؟.

الاكبر ـ أنا مقدر مشاعرك ولكن إذا لم افهم دوافعك وطريقة تفكيرك لهذا الموضوع الخطير فذلك يعني أني سأكون قلقاً عليك، لا ليس قلقاً بل مشوش ومتعصب من وضعك، الانتحار يا اخي يعني هدر الانسان لحياته وهي اقدس حقوق الانسان.

ولماذا انتحر اصلاً؟.

الاصغر ـ كانت عنده حالة اكتئاب نفسية عالية، ويعيش حالة قلق مستمرة متزامنة مع مشكلة عائلية وازمة مالية حادة بعد حادث السير الذي تسبب بقتل ام وطفلتها.

الاكبر ـ يعني قضاء وقدر ام كان يتعاطى ام مخموراً ام ماذا؟.

الاصغر ـ طيش شباب وليس عمداً او إهمال كبير جدا، ولكن تعرف تعاطي مجتمعنا مع حوادث السير. فبعد الحادث ازداد عنده شعوره بالذنب وكذلك احتمالية دخوله للسجن.

الاكبر ـ يعني كان يحتاج علاجاً نفسياً ودعماً معنوياً، هل فقد الغاية في حياته، ام كان شاباً متزناً وواضحاً ماذا يريد؟.

الاصغر ـ كان متقلب الأهداف وكل يوم يريد ان يكون شيئاً جديداً، كنا نتمازح معه كثيرا واعتقد ان مزاحنا، مع ضغط عائلته والمحيط، تحول إلى حالة سلبية في ذهنه ظناً باننا نسخر منه وأنه إنسان فاشل.

الاكبر ـ الظاهر ان صاحبك رحمه الله لم تكن له اهداف واضحة لان الاهداف الواقعية تمنح الحياة طعماً ومعنى عميقا.

وماذا عن التزاماته الدينية؟ من يؤمن بالله لا ينتحر، والانتحار يعني قمة اليأس والاضطرابات النفسية.

الاصغر ـ اعرف بانه كان مريضاً نفسياً ويعيش القلق الدائم.

مؤمن بالله ولكن حصل عنده ارتداد حاله حال الكثير من الشباب.

الاكبر ـ من ينتحر لا يؤمن بالله، ولا بقداسة روحه وكونها امانة وليست ملكاً صرفاً له، الظاهر ان صديقك لم يفكر جيدا ان بعد كل شدة فرج، وان الخيارات هي دوما اكثر من ما يعتقد الانسان أوقات الشدة، الصبر مفتاح الفرج مقولة لها مصداقيتها وليست شعارات مثالية كما تعتقدون. ان تشعر بانك مقيد لا يعني ان الخيارات المتاحة محدودة جدا او لا تشمل بدائل واقعية يا اخي.

الاصغر ـ وما العلاج إذا شعر احدنا بانه مقيد، ومحدود الحركة او الخيارات وان الظروف أقوى منه؟.

الاكبر ـ علاجه، الثقة بالنفس، التركيز على خلق فضاءات إيجابية لكونك كياناً محترماً مستقلاً وليس اسير حالة، جرب الحلول لتكسب الامل ولا تقيد نفسك كثيرا، قيم الواقع ولكن اعرف ان المستقبل يحتضن حلولاً لم تعلم بها. اليأس بطبيعته يخلق عند الانسان نوعاً من

الرغبة بالملل، والملل بطبيعته يخلق كومة من الحزن، وعليه ترى صاحبك كان يشعر وكأنه في زنزانة انفرادية مؤبدة، ومع الزمن تراه لا ينخرط بالحياة ومتعتها، وعليه ادخل نفسه في حلقة قاتلة لروحه وبعد امد لجسده بالانتحار.

الاصغر ـ وما هي الأسباب يا ترى؟.

الاكبر ـ التفكير الزائد المفرط بالمشكلات، فقدان الوقت لقداسته واهمال جريان الايام والليالي، الابتعاد عن رحمة الله ونعمه وخصوصا الغفلة عن الأمور البسيطة والممتعة.

الاصغر ـ اتفق معك في هذه فكم نعمة كنا لا نحس بها أدركنا أهميتها بعد نكبة او جائحة كورونا اللعينة.

الاكبر ـ لا تنس ان تعلمني بوقت مجلس الفاتحة او اي طريقة اخرى لتعزية عائلة صديقك المنكوبة.

الاصغر ـ ان شاء الله، الصورة غير واضحة حول مراسم الفاتحة نتيجة الجائحة.

الاكبر ـ اقدر ذلك وابقاء الأحياء بسلامة في هذه الامور اولى من امور واعتبارات اخرى.

الاصغر ـ احتاج ان انام فانا مرهق جداً.

الاكبر ـ توكل على الله ولا تنس عما تحدثنا عنه، اهلك هنا دوما حيث تحتاجهم، واجعل هذه التجربة تزيد من ايمانك بالله وقدرة الانسان على كسر طوق تحدياته وان كانت تظهر سوداوية الان.

الاصغر ـ ان شاء الله.

الحوار الرابع عشر

الانترنت سلاح ذو حدين

الاكبر ـ مساكم الله بالخير اخي الصغير

الاصغر ـ حياكم الله اخي الكبير

الاكبر ـ كيف كان نومك؟ وهل من اخبار حول عائلة صديقك الذي انتحر؟.

الاصغر ـ لم انم جيدا وهذا ليس بالأمر الجديد، ففي الأشهر الاخيرة أعاني من صعوبة النوم او بالأحرى لا استمتع بالنوم.

أما بخصوص عائلة صديقي، فاتصلت وعرفت بانهم سوف لا يقيمون مجلس فاتحة بسبب الجائحة.

الاكبر ـ ساعدهم الله وفك حزنهم قريبا، لا تنس ان تقوم بالواجب معهم، فالوفاء للصديق امر محمود وان لم يبق على هذه الدنيا.

الاصغر ـ ماذا تقصد؟.

الاكبر ـ اقصد ان الوفاء مطلوب مع كل الأصدقاء، حتى الأموات، فالوفاء يزيد درجة المحبة والإخلاص بين الأصدقاء، وهو في الحقيقة جوهر الصداقة، وخصوصا في الأزمات والمحن، فأحدنا لا يحتاج الأصدقاء كثيرا في أوقات الفرح، أما مع الحزن والنكبات فعندها تظهر متانة الصداقة وجوهر الآخر.

الاصغر ـ نعم اشعر براحة عالية عندما أوفي شيئاً للآخر عن رغبة وليس نتيجة الشعور بالحرج او الإلزام.

الاكبر ـ الوفاء والولاء مدعاة لزيادة الرضا عن النفس وعليه تشعر بوئام اكثر مع نفسك ومع محيطك بعد اداء امانة الصداقة.

وبخصوص النوم، لاحظت منذ مدة ان نظام نومكم غير طبيعي او نمطي وعليه ارى عليك كثيرا من علامات الارق وقلة النوم، هذا قبل الجائحة او موضوع صديقك الذي انتحر.

الاصغر ـ كل شيء طبيعي ولا احس بشيء، اعتقد ان ما تشعر به نتاج حرص من جنابكم اكثر من وجود ارتباك عندي.

الاكبر ـ ارى العلامات نفسها عند الأصدقاء والزملاء من الذين يكثرون من سهر الليل.

الاصغر ـ اية علامات؟.

الاكبر ـ قلة النوم تؤدي إلى مضاعفات كثيرة منها عدم قدرة جهاز مناعة الجسد من مقاومة الأمراض البسيطة.

الاصغر ـ لا اشعر باي مرض؟.

الاكبر ـ عدم توفير بيئة مناسبة للنوم، امر غير صحي او صحيح، وهذا قد يأتي نتيجة كثرة السهر وشرب المنبهات، طبعا استخدامكم المفرط للأجهزة الالكترونية مثل الحاسوب والهاتف امر مؤذٍ كذلك.

أنت كشاب قد لا تشعر به، ولكن زملائي وأصدقائي، نحن الكهلة، تعني لنا زيادة في ضغط الدم، وقلة الصبر او سرعة الاستفزاز نتيجة قلة النوم، وبالنتيجة سهولة حصولهم على الإصابة بالاكتئاب وغيرها من الأمراض النفسية او الجسدية.

الاصغر ـ استخدام الحاسوب او الهاتف امر طبيعي هذه الايام فهو مثل شرب الشاي او تنفس الهواء، فهو حاجة وليس امراً كمالياً وما علاقة الكآبة بالموضوع؟.

الاكبر ـ وهل تعتقدُه امراً طبيعيا ان يصرف الانسان يومياً ساعات أمام شاشة صغيرة؟ الا تراها نوعاً من الإدمان يتعارض مع حياة الانسان الطبيعية او قدرته على القيام بباقي واجباته والتزاماته؟ أرى ترابطاً وثيقاً بين الإفراط في استخدام الإنترنت وعزلة الشخص عن المجتمع.

فأغلب الاصدقاء الذين ادمنوا الهواتف واليات التواصل الاجتماعي لم اعد اراهم الا في المناسبات العامة.

الاصغر ـ بالمناسبة لم اكن اعلم ان لك أصدقاء من جماعة الحاسوب والنت، بل كنت اعتقد انهم مثلك لا يميزون بين البلوتوث والواي فاي.

الاكبر ـ ماذا يعني واي فاي او بلوتوث؟.

الاصغر ـ بالضبط.

الاكبر ـ لا تتهكم علي فانا من النمط القديم وارى كل هذا اللهف وراء الإنترنت والحاسوب امراً مضراً بالصحة والبال.

بودي ان افهم منك ومن الشباب من امثالكم، لاحقًا وليس الان، ماذا يعني الانترنت لكم، اذ لدي فهم معين للعولمة وأود ان اعرف ملاحظاتك عليها.

الاصغر ـ وهل ترانا انعزلنا او تركنا الدنيا، الا تراني اتعامل مع الحياة كحالة طبيعية؟ الانترنت اصبح الان من ضرورات الحياة وجزءاً من حقوق الانسان مثل الهواء والماء.

الاكبر ـ الانترنت يساوي الحياة، سبحان الله ماذا حل بنا نحن البشر!! جائحة كورونا بينت لنا ماذا تعني الأولويات آمل ان تستفيد من هذه التجربة بالمراجعة، على كل حال وددت ان اتحدث معك عن العزلة عن العائلة، فمنذ مدة اراك في غرفتك وامام شاشة الصغيرة او شاشة الأكبر نسبياً.

اي ارى في البيت هنا ما أراه في خارجه وذلك بتزامن دخول الانترنت لعالمهم وتفكك الأسرة.

الاصغر ـ الا ترى بانك تبالغ بعض الشيء مع ظاهرة التكنولوجيا والعولمة؟.

الاكبر ـ هناك عدة مظاهر سلبية وايجابية للعولمة وأود لاحقا الحديث التفصيلي معكم حول هذا الموضوع ولكن ما اتحدث عنه الان مرتبط بالبعد الاجتماعي في مجتمعاتنا متزامنة مع كثرة استخدام آليات التواصل الاجتماعي، ارى ان هنالك معادلة طردية بين زيادة دخول الانسان منا العالم الافتراضي ونقصان تعاطيه مع عالم الواقع.

الاصغر ـ ولماذا ترى وجود ادمان او افراط؟ أعطني مدلولات او استنتاجات؟ اذ أراه كنمط اخر من الحياة ليس الا، نمط غير مألوف لكم يا كبار العمر وطبيعي جدا في هذا العالم المتطور، اي ارى الواقع مع الانترنت يعكس حداثة وليس تخلفاً كما تصورها.

الاكبر ـ حداثة عندما تصرف وقتاً على الانترنت لإنتاج اختراع جديد او نظرية جديدة تنفع المجتمع، أما مع الفيس بوك وغيره فهو اقرب إلى دردشات لا تنتهي، يعني ديوانية مفتوحة ليلاً نهاراً.

أما معطياتي فهي متعددة، منها عدم تقدير الوقت وأهميته، انخفاض الاداء المهني في العمل، ترك الأصدقاء ومجالس العائلة، الرغبة الملحة في كثرة الاستخدام بشكل غير ضروري، فقدان الاهتمام او المتعة بمعظم الأنشطة العادية، شعور دائم بالتعب وقلة الطاقة، وحتى فقدان الشهية وغيرها.

الاصغر ـ الظاهر جنابكم صرفتم وقتاً كثيراً في دراسة او فهم هذا الموضوع؟.

الاكبر ـ التحدي الذي واجهته هو أما أن انخرط معكم او انعزل عن استخدامه تماما، وارى في هذا المنهج خللاً وعليه اود ان استفسر واستفيد من موضوع العولمة لأعرف أين اجد وأطبق التوازن.

الاصغر ـ الان فهمت دوافع الرغبة وأسبابها، كنت اعتقد بانكم لا تريدون الغوص في بحر العولمة لأنكم لم تبحثوا عن الحداثة وانكم اقرب لتكونوا سلفيين، وإذا بي ارى أسباب تخوفكم لها معطيات حقيقية، بلغني متى تحب، واعدك بأعداد دراسة لكي أكون وافياً في شرح الموضوع. وأنت تتحدث تذكرت كم تغيرت حياتنا عندما توقف بث النت اثناء الأحداث السياسية، عندها كنا نصرف وقتاً اكثر بيننا كعائلة.

الاكبر ـ شكرا على تعاونكم وتفهمكم، ويبقى بالي عليكم وخوفي من تداعيات الانترنت وحالة اللااجتماعية او قل الاجتماعية الافتراضية لا الواقعية.

الحوار الخامس عشر

اخلاقية الدولة ورجالات السلطة

الاصغر ـ مرحبا اخي الكبير

الاكبر ـ مرحبتين اخي الشاب

الاصغر ـ كان لي سؤال منذ مدة ولم ارد ان أحرجكم به؟.

الاكبر ـ تفضل، لا احراج مع البحث عن الحقيقة او المعرفة.

الاصغر ـ لماذا تتحدثون دوما عن الأخلاق الحميدة واهميتها وإذا بنا نرى ضعف تطبيقها على الواقع؟.

الاكبر ـ الأخلاق الحميدة مفهوم كبير، اي مصداق من مصاديقها تريد؟ وأي من تطبيقاتها لم أطبقها؟.

الاصغر ـ مثلا القسوة مع المجتمع، او النظرة الفوقية، انصافا أراها في الكثير من الاخرين ولا أراها فيك أنت.

الاكبر ـ إذن انت تتحدث عن انطباع وليس بشيء لاحظته عليَّ أنا شخصيا؟.

الاصغر ـ نعم تستطيع ان تقول ذلك، ولكنه ليس بانطباع، فلم نرى معاقبة المسؤول عندما يتعدى على المواطن، ولم نشعر بأبوة الدولة علينا، وغيرها.

لا تحاول يا اخي ان تردد مفهوم الانطباع، فالواقع يعكس ما نرى ونحس وليس أموراً نراها عبر شاشات التلفاز، او سطحية الفيس كما تسميها.

الاكبر ـ قبل الإجابة على هذا السؤال علينا ان نسأل عن الثقافة العامة للمواطن مع الدولة، ومن جهة اخرى طبيعة تعامل اجهزة الدولة ورجالاتها مع المواطن.

اي ما هي طبيعة العقد الاجتماعي بينهما، اي حقوق الراعي والرعية كما كانت تسمى سابقاً وتسمى الان بالمواطنة والوطن.

الاصغر ـ جميل ان تفكك المشكلة لنحاول ان نرى اصل الخلل وسبل معالجته.

الاكبر ـ ولكن قبلها عندما قلت عني باني لا ارى الأمور من منطلق فوقي او أني لست بقاسٍ فمن الضروري ان تعرف قناعاتي الشخصية أولا، اي ما أسميته سابقا بالقيم الضرورية لتحديد بوصلة الانسان منا، وخصوصا إذا كان لنا قدر من السلطة والحاكمية على يوميات المجتمع.

الاصغر ـ إذن أنت تفصل بينك وبين غيرك من رجالات السلطة والحكم؟.

الاكبر ـ ليس كذلك، ولكن أقول علينا اولاً ان نسأل هل لنا كبشر عقيدة ودين واخلاق، وهل للدولة دين او أخلاق معينة بمعزل عن البشر، ام ان الدولة في الشرق لديها نفس

تعاملاتها مع مواطنيها مع الدولة التي في الغرب؟ أي هل تدين الدول جميعاً بشيء واحد؟ هناك من يقول ليس للدولة اخلاق او مشاعر بل للدولة قانون فقط، قد يكون كذلك ولكن.

الاصغر(مقاطعاً) ـ لماذا تعقد المشهد علينا وتدخل في اخلاقيات كل شيء؟ وسؤالي كان عن دولتنا ومجتمعنا العراقي.

الاكبر ـ وانا ارى الحالة العراقية مثلك ولكن من زوايا مختلفة، انت تراها كمواطن وانا اراها كمسؤول، وخصوصا مسؤول لديه هدف سامي من مشاركته في منظومة الحكم.

الاصغر ـ كيف يعني؟.

الاكبر ـ قلت باني لست مثل باقي المسؤولين، اي لا قسوة ولا فوقية، وعليه هل انا حالة شاذة، ام غيري هم الشواذ، ام اننا لا نملك منهجاً أصلا لطبيعة المسؤول العراقي.

الاصغر ـ قد تكون كلها

الاكبر ـ نعم قد تكون، ولكنك تعرف باني لم أشارك لذات السلطة وقد تعرف ان غيري كان كذلك وقد غرّه المال والجاه ولعنة الكرسي وسحره، وتعرف بان هناك نوعاً من اليانصيب في توزيع المناصب والمسؤوليات ومن لا يكون حسب مسطرة الاثنو ـ قومية والاثنو ـ طائفية وغيرها من معايير المحاصصة والمحسوبية ووو.

الاصغر ـ إذن أنت تعترف بوجود خلل؟.

الاكبر ـ أكيد اعترف، وخلل كبير وعميق، أنا لست قادم من كوكب اخر وتعرف مدى تواصلي وعلاقاتي، ولكن كما قلت انت تتحدث عن دولة وليس رجالات سلطة، وشتان ما بينهما.

الاصغر ـ وكيف؟.

الاكبر ـ هناك مسؤول التحق بجهاز الدولة ليقدم خدمة للمجتمع ويؤثر على نفسه، وهناك مسؤول التحق للحصول على مكاسب محددة والقيام بدور معين لا زيادة ولا نقصان، وهناك مسؤول التحق تلبية لطموحه المالي مثلا، وعليه يحلل أخذ الرشوة ويشرعن الاستحواذ على المال العام وهلم جرا، كلهم مسؤولون ولكن لكل واحد منهم منطلقات ووحدات قياس اخلاقية مختلفة.

الاصغر ـ وما ذنب المواطن ليكون ضحية تردي مستوى المسؤولية في العراق؟.

الاكبر ـ لديه ذنب من جهة ومن جهة أخرى تراه ركز على رجالات السلطة وترك الدولة تَنهُش فيه.

الاصغر ـ كيف؟ كنت أتصور كمواطن أني الضحية وأنت تقول باني الجلاد، عجبي من شرعنة الأمر الخاطئ!. وكأنك تقول فيك الخصام وانت الخصم والحكمُ.

الاكبر ـ حديثي اعلاه مرتبط برجالات السلطة وليس رجالات الدولة، وهل هناك اتفاق على وجود قراءة اخلاقية للدولة؟.

الاصغر ـ وما الفرق بينهما؟.

الاكبر ـ الفرق كبير، فهناك من يرى أن الدولة كيان محايد بل جامد، عليها ان تحتكر العنف وتكمن وظيفتها الأساسية في إقامة قوانين واجراءات وفرض احترامها داخل المجتمع من خلال نظام معني بتلك الجغرافيا، وعليه لا دور للقيم وما تحدثنا عنه بل تطبيق ما اتفق عليه بمعزل عن الخير والشر.

الاصغر ـ ولكن نحن لا نتحدث عن مؤسسات بتجرد بل أفراد في هذه المؤسسات يفعّلون قيمهم ودوافعهم الشخصية والوطنية.

الاكبر ـ نعم المسؤول في موقع معين عليه تطبيق القوانين بعدالة وتجرد قدر الإمكان، ولكن نعرف دوما من خلال تفاعلاتنا اليومية ان عنصري الوجدان والعقل يتصارعان دوما وعليه نرى تأثير تقديرهم الشخصي على الأرض متزامناً مع كفاءتهم المعنوية في تفسير الواقع كما يرونه هم، أي انه تحول مفهوم الدولة الى مجموع أفعال مسؤوليها.

الاصغر ـ إذن مبادئ المسؤول الشخصية وحساسياتهم هي الدافع والمسطرة، وإذا كان مبدأ الثواب والعقاب والحرية واسعة وغير منضبطة او متفق عليها او صعبة الإلزام فأن كل شيء في الدولة نسبي.

الاكبر ـ ليس كل شيء ولكن لا نملك بعد مرجعية المؤسسة بمعزل عن الشخص، وهذا خلل كبير ونحن أمام مفترق طرق، أما بناء مؤسسات رصينة بمعزل عن المشاعر او شخصنة كل شيء وتحوير مؤسسات الدولة إلى ضيعات شخصية.

الاصغر ـ وماذا عن قناعاتكم الشخصية اخي الكبير حول القسوة والنظرة الفوقية، ما هي منطلقاتها؟.

الحوار السادس عشر

ثنائية الوئام المجتمعي والحكومة

الاكبر ـ قبل الحديث، يا اخي الشاب، عن قناعاتي الشخصية حول القسوة والنظرة الفوقية، اود ان ابين اولا القاعدة العامة التي اؤمن بها بمعزل عن خصوصيات هذه الخصلة عن تلك.

الاصغر ـ تفضل يا اخي الكبير، مفيد ان نعرف ما هي القاعدة العامة.

الاكبر ـ القاعدة ببساطة قائمة على مجموعة أسس وقيم، قد لا تكون كثيرة، وهذه الأسس والقيم تترجم من خلال منهج حياة اؤمن به وأحاول ان التزم به قدر المستطاع بمعقولية، هذه الأسس تحتاج إلى مراجعة دورية لكي لا نتيه وننجرف الى درجة لا يعرف بعضنا لماذا وصلنا حيث نحن، اي لا نسمح للظروف والعقل الجمعي ان يسيرنا، بل ضروري ان نقدر ونقتنع بإرادتنا الشخصية وان نعيش في وئام مع أنفسنا أولًا، ونحاول ان نعيش في وئام مع المجتمع أيضًا.

الاصغر ـ ما هي هذه الأسس يا اخي الكبير؟.

الاكبر ـ أولا ما هي مرجعيات الانسان والمجتمع؟.

الاصغر ـ تقصد المرجعيات الدينية؟.

الاكبر ـ كلا اقصد المسطرة او البوصلة التي تعول عليها لمعرفة ان ما كنت تعتقد به او تنوي فعله مقبول او شاذ او حتى مرفوض شخصيا او مجتمعيا؟.

الاصغر ـ هناك المسطرة الدينية ومسطرة المجتمع وأخيرا مسطرة القانون، وقد يقول الاخر البعد المادي والاقتصادي في القرارات.

الاكبر ـ اذن لنحلل ما قلت، هنالك البعد الديني، حتى مع الشخص الذي لا يؤمن بالدين فانه يؤمن بوجود شيء اسمه الأخلاق، وهنالك بعد الدولة وقانونية ما يريد فعله الشخص، وهنالك بعد المجتمع او الأعراف وان كان ما يريد ان يقوم به معيباً او محل افتخار.

الاصغر ـ وماذا عن الاقتصاد او النفع او المادة؟.

الاكبر ـ هذه تكون ضمن الأطر الثلاثة الأخرى؟.

الاصغر ـ كيف؟.

الاكبر ـ أنت لا تفكر بالاقتصاد في كل شيء بل في الكثير من الأشياء، ولكن تفكر بالعرف ومقبوليته، والأخلاق وقانونية ما تريد فعله دوما مع كل تصرف تريد ان تقوم به.

قد تفعل شيئاً في بلد معين ولا تفعله في بلد اخر نتيجة تناقضه مع العرف (المجتمع) أو القانون (الدولة) أو الدين (البوصلة الاخلاقية).

الاصغر ـ وماذا يحصل لو كان هنالك تعارض بينهما؟.

الاكبر ـ عندها لا يحصل وئام بينك وبين المجتمع في ذلك الموضوع بالخصوص وعندها عليك ان تتنازل إما عن المسطرة الأخلاقية او العرفية او القانونية او تترك تلك الجغرافيا بحثا عن وئام شخصي، ولكن ذلك سيعتمد على مدى اتفاق ابناء المجتمع على مفردات هذه المساطر/ المرجعيات.

ولهذا علينا ان نحث على الحوار لكي لا نتخندق في كل شيء.

الاصغر ـ ولماذا نبحث عن الوئام أصلا، نطبق القانون على الكل وعلى المجتمع ان يطبق وكفى؟.

الاكبر ـ لان مع الوئام يحصل الإبداع والإنتاج، وبدونها نشعر بالإجبار، وعندها سنحاول ان نكسر قيد الاجبار في اقرب فسحة نجدها، طبعا عدم وجود وئام شخصي يعني تبني منهج النفاق والعياذ بالله.

الاصغر ـ وكيف نوجد الوئام في مجتمع اغلب أشخاصه يعتقدون انهم يختزلون الحقيقة؟.

الاكبر ـ من خلال معرفة مستلزمات النجاح لأي شيء حقيقي.

الاصغر ـ وما هي؟

الاكبر ـ الحاجة للشيء، والرغبة بالشيء، وأخيرا الاقتدار على الشيء.

الاصغر ـ هذه فلسفة.

الاكبر ـ كلا أبدأ بل الواقعية وما هو ممكن تطبيقه، فلا يمكن ان نصل إلى قناعة مجتمعية ان لم تكن لنا حاجة الى ذلك الشيء، وعلى المنوال نفسه الرغبة في ذلك الشيء وأخيرا القدرة على تفعيل ما نتفق عليه.

الاصغر ـ كيف، أعطني أمثلة فالصورة غير واضحة بعد؟.

الاكبر ـ جيد، إذا لم نتفق كمجتمع على طبيعة حقوق الانسان، او حقوق الطبيعة علينا، او حقوق الشهداء ومن ضحوا من اجلنا، كيف سنستطيع بعدها ايجاد قوانين ومحددات ومسؤولية على المواطن والدولة في هذه الأمور، او لنأخذ مفردة الحرية وحدودها مثلاً.

الاصغر ـ حسناً، لهذا عندنا شيء اقرب إلى الفوضى في موضوع الحريات وتطبيق القوانين الجديدة.

الاكبر ـ نعم، لأننا لم ندرس هذه القوانين، سواءً الجديدة او القديمة، والاخذ بابعادها كلها بل الكثير منها اقرب إلى نزوات او ترجمة عواطف من ان تكون قوانين وتشريعات موضوعية ومدروسة.

الاصغر ـ ولكن ما تقوله يتطلب جهداً كبيراً.

الاكبر ـ ومن قال ان البناء سهل، او ممكن ان تنجح بأقل جهد ممكن.

الاصغر ـ ماذا نحتاج لنتطور، ونرتقي كأمم ودول؟ يُشار لها بالبنان؟

الاكبر ـ نحتاج إلى دور اكبر لعلماء الاجتماع، والإحصائيين، وعلماء القانون والأخذ بفتاوى المرجعيات الثلاث اعلاه كل حسب حقل علمه وعمله.

وكذلك نحتاج إلى اعادة تأهيل رجالات الدولة حسب مسؤولياتهم ودورهم المطلوب.

الاصغر ـ جنابك تطالب بثورة داخل المجتمع، او ثورة على المجتمع؟.

الاكبر ـ أنا اطالب بمعرفة حقوق وواجبات كل أفراد ومفردات الدولة والمجتمع، وذلك لنتطور ولنكون ما نسميه عرفاً بالدولة الراقية ودولة المسؤسسات.

مشكلتنا في العراق هي اننا لم نتفق بعد على الكثير من مفردات الحقوق والواجبات وعليه ترى كل طرف يعطي ثقلا للمرجعية التي تسند قناعاته عليها بمعزل عن الوئام وان كان ما يصبوا اليه ممكن او مطلوب او مرغوب مجتمعيا.

الاصغر ـ وكيف وصلنا الى هذه الحالة؟.

الاكبر ـ وصلنا لها لكثرة تعدد المرجعيات كماً ونوعاً واختلافها فيما بينها احياناً، لدينا مرجعيات دينية متعددة ومرجعيات مجتمعية متعددة مثل القبلية والعشائرية ومرجعيات الدولة ومراكز القوى، وطبعا لدينا التراث والإرث والتركة السابقة وثقلها، فضلاً عن شعور غير واقعي بالنوستالجيا (الحنين الى الماضي) وعليه ترانا نشعر بتشويش واضح عند سعينا لمعرفة الواقع والمطلوب وكيفية الوصول للمرغوب.

الاصغر ـ إذن نحتاج الى المكاشفة اولا؟.

الاكبر ـ صحيح، وامور اخرى.

الحوار السابع عشر

نظرية المؤامرة وأثرها

الاكبر ـ اخي الشاب، اسمع كثيراً من الأصدقاء يتحدثون عن انفتاح السفارات الأجنبية على الشباب العراقي والاهتمام الزائد بهم، هل هذه الاحاديث دقيقة؟.

الاصغر ـ اهتمام زائد مثل ماذا؟.

الاكبر ـ من خلال برامج جذب او تأهيل او حتى تدريب مرفقة مع انفتاح ثقافي كبير عليهم.

الاصغر ـ وما الضير في ذلك؟.

الاكبر ـ كيف وما الضير؟.

الاصغر ـ يعني سفارات تريد ان تؤثر على المجتمع المضيف وخصوصا الشباب، وهم اكبر فئة في المجتمع العراقي، وأكثر فئة لديها رغبة واستعداد للانفتاح، يعني نتيجة طبيعية. وماذا تتوقع منهم، كشباب او كسفارات، ان يعملوا؟.

الاكبر ـ الا تراها جزءاً من غزو ثقافي على شبابنا؟.

الاصغر ـ غزو!! لدينا انفتاح كامل على النت، ولدينا حرية سفر، وحدودنا لأمد قريب كانت مفتوحة ومن دون قيود، قدرات السيطرة على ما يصدر منا قليلة، يعني لا حاجة لغزو بل متطلبات الغزو موجودة أصلاً.

وممكن اسأل على ماذا يغزون؟ وماذا يريدون ان يحصلوا من الغزو؟.

الاكبر ـ لدينا ثروات كثيرة، ولدينا مقومات للنجاح كبيرة، ولدينا زخم شبابي عالي ولديهم أهداف حماية مصالحهم وأصدقائهم في المنطقة، وكذلك ضروري ان لا ننسى ان تخلفنا يفيدهم ويساعد على تشتيت الوحدة العربية او الإسلامية، هو مدعات لتسلطهم على مقدراتنا.

الاصغر ـ يعني نحن خطر على أمنهم القومي! عجبي، وهل تعتقد ان مخاوفكم هذه لديها أسس صحيحة ومنطقية؟.

الاكبر ـ أكيد مخاوفنا ليست من وحي الخيال، والتاريخ يشهد باستمرار التآمر على العراق من بعض دول الاقليمية او الأجنبية.

الاصغر ـ ولماذا نحن دوما العامل المشترك في مؤامراتهم، لماذا لا ترى احتمالية ان نكون نحن المشكلة، ولا نثق بأنفسنا وقدراتنا وعليه نلوم الاخر؟.

الاكبر ـ وهل تعتقد ان التآمر علينا من خيال المجتمع او النخبة المطلعة، سأعطيك بعض الامثلة لأنعش ذاكرتك!:

الاصغر ـ تفضل، وان كنت اسمع بها ليلاً نهاراً.

الاكبر ـ ما يسمى بثورات الربيع العربي، بايدن وتقسيم العراق، دعم الغرب للتنظيمات الإرهابية، الفوضى الخلاقة، حروب الجيل الرابع، تدمير جيوش المنطقة، زيادة الصراعات الطائفية والعرقية في منطقتنا، احتلال العراق، وقبلها قرارات مجلس الامن الكثيرة بحق العراق، تقرير كروكر، خطة راند ورايس، اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط بعد تفتيت دولها، هل هذا كافٍ ام استمر؟.

الاصغر ـ وفيت وكفيت، وما الجديد فيما تقول؟ بالمناسبة هناك من يصر بأن الأرض مسطحة وليست كروية وأن الهبوط على القمر لم يكن إلا كذبة ادعتها وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، وأن الماسونية هي المؤسسة التي تدير العالم وتسيطر عليه، وأن العلماء يخفون نتائج أبحاث بخصوص المناخ البيئي تؤكد اقتراب نهاية الحياة البشرية، فضلا عن أن الحكومة الأمريكية لا تريد الإفصاح عن الجهة الحقيقية وراء اغتيال كينيدي وغيرها من المزاعم الرائجة، يعني كل يغني على ليلاه، وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر له بذاك... إذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ تبين من بكى ممن تباكى... فأما من بكى فيذوب وجداً وينطق بالهوى من قد تباكى.

الاكبر ـ يعني جنابك تتفق معي ام لديك قراءات أخرى؟.

الاصغر ـ أكيد لا اتفق معك، أولا لنتفق على تعريف الموضوع، والذي تسميه أنت بالمؤامرة، هو اتفاق بين أشخاص أو منظمات تعمل معا في الخفاء مستغلة قدرتها وعناصر الضعف لدى الآخرين (ولنقل في هذه الحالة العراق) على نحو مخالف للقيم والأخلاق من أجل تحقيق هدف (مثلا حماية مصالحها بتفتيت العراق) والذي يتضمن الإضرار بطرف آخر، اي هي خطة خبيثة تحتوي عنصر السرية والاتفاق بين دول وأطراف متآمرة وذات أهداف مشتركة تبطن الشر وتتمتع بالقوة ومستعدة للقيام بأفعال مؤذية ومخالفة للأخلاق والقوانين العراقية.

تعريف اعرف انه طويل ولكن لأبين لك يا اخي الكبير باني مطلع على هذا الموضوع كونه جزءاً من تربيتنا السياسية والمجتمعية.

الاكبر ـ جيد إذن اتفقنا على التعريف.

الاصغر ـ لأبين لك الان وجهة نظري، أرجو ان تتحمل ما سأقوله وقد تطول ملاحظاتي، سابين لكم قراءات غير مألوفة او لم اشعر بالراحة في الإفصاح عنها كونها لا تتماشى مع ثقافتنا العامة.

الاكبر ـ ولماذا كل هذا التحفظ؟.

الاصغر ـ هناك من يرجع كل الأحداث إلى المؤامرة (والظاهر جنابك منهم) وهناك من يرفض الفكر التآمري بالكلية، واتجاه ثالث وسطي (وأنا منهم) يعترف بوجود المؤامرة، لكنه لا يبالغ فيها ولا يرجع كل الأحداث لها.

الاكبر ـ خيراً ان شاء الله، الظاهر انك مشحون في هذا الموضوع، المهم تقتنع بان وضعنا سوف لن يستقيم ما دمنا نعول على هذه السفارات والدول، وهي يفترض ان تكون اخر طرف نعتمد عليه لدعمنا.

الاصغر ـ بالمناسبة تنتشر نظرية المؤامرة في مختلف دول العالم، لكن لا يبالغ فيها ولا ترجع كل الأحداث لها، عكس الدولة المتخلفة التي تعتمد عليها، وخصوصا في الأزمات، كنظرية في تفسير وشرح واقعها. سيطرة الفكر التآمري على العقل الباطني والظاهري العربي شيء مريح للعرب، وخصوصا في توفير العناء في البحث عن أسباب الفشل، حيث سيغنيهم عن نقد الذات وتحمل المسؤولية، اي هو مذهب تفسيري للأحداث وتكرر الأزمات.

الاكبر ـ يعني كنا نعتقد باننا الضحية وإذا بنا نكون الجلاد!.

الاصغر ـ هو أسلوب يلجأ إليه مؤيدوه بهدف تبرئة الذات والهروب إلى الأمام بدلا من تحمل المسؤولية والاعتراف بالخطأ، ومع كثرة استعمالها اقتنع الناس بها، حتى أصبحت جزء أساسياً من حياتنا في العراق، نسمعها في الشارع، وداخل محل العمل وداخل الأسرة ونشاهدها أمام شاشات التلفاز ومنصات النت، ترددها الحكومة ورجالاتها عند كل مصيبة ويتحدث عنها الناس في كل مكان.

وضروري ان اذكر ترويج الأنظمة الشمولية والدكتاتورية لفكرة المؤامرة حتى تبرر لشعوبها أن التخلف وضعف التنمية في هذه البلدان سببه المؤامرات الخارجية.

الاكبر ـ وهل ما يجري على ارض العراق محل صدفة؟ هناك ثلاثة مبادئ او مرتكزات مهمة للتآمر علينا وهي أن لا شيء يحدث بالصدفة، ولا شيء يكون كما يبدو عليه، وكل شيء مرتبط ببعضه، وعليه ترى استمرار محاربتنا مع سعينا المستمر لكسر أغلال التبعية والتخلف.

الاصغر ـ اخي العزيز، تكشف دراسات هذه النظرية بانها تساعد ابناء المجتمع على استيعاب الأحداث التي تقع في العالم من حولهم، وخاصة عندما يشعرون بفقدان السيطرة على حياتهم أو بالقلق أو بالعجز عن حماية مصالحهم إذا تعرضت للتهديد كما حصل معنا في محاربة الارهاب او حتى موضوع داعش، أنت منزعج من ما أقوله الان، اعرف ذلك.

الاكبر ـ نعم منزعج ولكن اريد ان اعرف معطيات قناعاتك؟.

الاصغر ـ هل الدول الكبرى تتآمر على الدول الضعيفة؟ نعم لحد معين، وقد تفعلها كل الدول، ولكن كذلك تستثمر أحداثنا وتوجهها لخدمة مصالحها ومن هنا أصل المشكلة في ضعف الجبهة الداخلية للدولة المتآمر عليها وهشاشتها، مثل العراق، وليست في المؤامرة

الخارجية، لذلك نجد أن المؤامرات الخارجية لا تنجح إلا مع الدول الضعيفة ذات الجبهات الداخلية الهشة.

الاكبر ـ الا تعتقد بان منطقتنا غنية بالثروات وعليه هنالك تركيز في التآمر عليها؟.

الاصغر ـ الشعوب العربية بارعة في تبنّي هذا النمط من التفكير وهي السمة السائدة في الثقافة والسياسة العربية والتي تدعي بان العالم يستهدفها ويضمر لها الشر، وترمي بكل أخطائها وإخفاقاتها على نظرية المؤامرة، إن العقل العربي تسكنه هواجس ومعتقدات بانه مستهدف، مخترق ومحاصر من الآخر، وأن هنالك قوى خفية في العالم تتآمر عليه وترغب في تغيير هويته وتدميرها بدل الاعتراف بعيوب الذات ودون الأخذ بمسببات القوة والضعف التي تتحكم في التفاعلات بين الدول والمجتمعات.

الاكبر ـ مرة أخرى تركز عليهم باللوم بدل حمايتهم؟.

الاصغر ـ اسمح لي بأن اطرح أسئلة وجدانية او مكاشفة، من أنتم يا عرب ومسلمين حتى يتآمر عليكم العالم؟ من حضراتكم حتى تنشغل بكم القوى العظمى؟ لماذا يستهدفكم العالم وعلى ماذا يحسدكم؟ هل لثرواتكم التي تمنح شعوبكم تذوق الجوع والعري والجهل والمرض والتخلف؟ أم يستهدفكم لصناعاتكم وإنتاجكم ومراكز البحوث عندكم، إن ميزانية شركة غربية واحدة أكبر من ميزانية هذه الدول مجتمعة.

الاكبر ـ الا تعتقد انهم يحاولون من خلال عملائهم وسفاراتهم وبرامج تثقيفهم ان يعكسوا ان المشكلة عندنا وفينا فقط ولا دخل لهم بواقعنا المتخلف؟.

الاصغر ـ الاتكال على طرف ثالث او طابور خامس هي وسيلة تقوم بها الأنظمة الحاكمة

في منطقتنا أيضاً بشيطنة المصلحين والمعارضين من خلال تسويق تهمة الارتباط بالخارج والعمل لحساب جهات أجنبية لكل من يعارض السلطة أو يغرد خارج سربها، حتى تبرر قمع المعارضين وتبقى هي في السلطة، هكذا منهج في التعاطي يعطيها ضمانات بالاستمرارية في الحكم وتأجيل الإصلاح السياسي وتطبيق الحكم الراشد، بدلا من طرح السؤال الصحيح وهو: ما هي الأشياء الخاطئة التي نفعلها؟ ولماذا تقدم الآخرون وتأخرنا؟.

الاكبر ـ كنت اعتقد بان لك معطيات حقيقية وأرقاماً ودراسات بدل قائمة تبرير وإلقاء اللوم على الضحية!.

الاصغر ـ ضمن الادبيات السياسية هنالك مفهوم القابلية للاستعمار وهو من أشهر المفاهيم، أي أن هنالك فوضى اجتماعية معينة وتقاعس عن أداء الواجبات وقلة في العلم والمعرفة أمام خداع الاستعمار ومكره، مما يجعله يسير بلدا كبيرا بعدد قليل من الجنود، وتوهم للقوة الخارقة عند العدو، وعليه هو العامل الداخلي المستجيب للعامل الخارجي، إنه رضوخ داخلي عميق لعامل الاستعمار يرسخ الاستعمار.

الاكبر ـ نعم اعترف يا اخي الشاب بوجود عنصر مساعد وهو القابلية للاستعمار.

الاصغر ـ تنشأ القابلية للاستعمار في نفسية الفرد عندما يكون في وضعية قابلة لأي استغلال وهيمنة، فالمجتمع عاجز عن تحقيق نهضته طالما أفراده يتصفون بالسلبية او اللامبالاة او الاستسلام تجاه مشكلات الواقع وحالة الرضى بالوضع المتدهور دون بذل الجهد لتغييره. وتتجلى القابلية للاستعمار في ذلك الخمول العقلي والعملي لمواجهة مشكلات تتطلب الفعالية والهمة العالية والنشاط الدائم، فلا يمكن لمجتمع يريد النهوض من كبوته أن يهمل دعم البحث العلمي ويعطل طاقات بشرية هائلة كما هو الحال عندنا في العراق، ويضاف إلى هذا وجه آخر من أوجه القابلية للاستعمار وهو محاربة المجتمع لفضائل الأخلاق ونشر الرذيلة بين أفراده.

الاكبر ـ وهل ما نواجه من غزو ثقافي وعسكري لم يحصل ام انه من الخيال ايضاً؟.

الاصغر ـ مجتمعاتنا حاربت الاستعمار والاحتلال ولكنها لم تخطط للنهضة أو البناء على أسس قويمة للمرحلة التي تليها، وذلك بسبب سوء التخطيط وبدائيته وكذلك لضعف النسيج المجتمعي وانفرط عقده عند اول مشكله تواجههُ! اي نحن نعيش حالة وهن حضاري ونفقد القدرة فيها على الرد والاخذ بزمام المبادرة مجدداً.

الاكبر ـ وما ترى الحل لهذه المعضلة؟.

الاصغر ـ الحل الأمثل لمواجهة المؤامرات الداخلية والخارجية هو تقوية الجبهة الداخلية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال إصلاح أخلاق المجتمع وتغيير تفكير الفرد، عندها سنرى تحطم كل المؤامرات أمام نضج وتطور وعي الشعوب، لهذا لا بد من توعية الشعوب لمواجهة مختلف المؤامرات، وكذلك إصلاح المناهج التعليمية والانتقال من طرق التدريس التلقينية إلى الطرق الحديثة، التي تعلم الإنسان النقد والتفكير الصحيح، بحيث يصبح التلميذ قادرا على التفريق بين الحق والباطل وبين الصحيح والخطأ.

الحوار الثامن عشر

من تواضع لله رفعه

الأخ الاكبر ـ السلام عليكم اخي الشاب.

الأخ الشاب ـ وعليكم السلام اخي، اود ان اشكرك.

الاكبر ـ على ماذا؟.

الشاب ـ كنت الى امد قريب تناديني دوما بأخي الصغير، واذا بي اسمعك تناديني الان بأخي الشاب، وهي اجمل وادق.

الاكبر ـ كنت اراك أخاً صغيراً ومع حواراتنا هذه اكتشفت بانك كبرت وان نظرتي السابقة تحتاج الى تحديث. اود ان استفسر منك عن شيء تحدثنا عنه قبل ليلتين؟.

الشاب ـ تفضل

الاكبر ـ قلت انك ترى في رجالات الحكم القسوة والتعالي، اعتقد سميتها بالنظرة الفوقية.

الشاب ـ نعم هذا ما قلت وقلت ايضاً بانك غير مشمول بهذا الوصف.

الاكبر ـ هذا ما اردت ان استفسر عنه، هل هذا انطباع عندكم عني ام هي مجاملة وقلتها منعاً للأحراج؟.

الشاب ـ ابداً ليس باحراج او مجاملة، والكثير من الاصدقاء من الشباب يقولون لي لماذا لا نرى باقي المسؤولين كاخيك في تواضعه وموضوعية حديثه ومنهجه؟.

الاكبر ـ بودي الحديث معكم عن أهمية التواضع ولعل الأهم منها الرحمة، فهي المفتاح لكسب قلوب الاخرين، وهي الخصلة التي تفتح لك افاقاً كثيرة وتبعد عنك الضغينة والتآمر. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ صدَقَ الله العلي العَظِيم (آل عمران: 159).

الشاب ـ كيف؟.

الاكبر ـ قبل الإجابة بودي ان اتحدث عن بعض العوامل المؤثرة في السلوك.

الشاب ـ مثل ماذا وما علاقتها بالقسوة او التواضع؟.

الاكبر ـ في شخصية الانسان وخاصةً اذا أراد ان يكون اجتماعياً، كل شيء له علاقة بأمور أخرى وهي اقرب الى التكامل من الاعتقاد السائد بان لا علاقة لخصلة معينة على خصلة أخرى.

الشاب ـ حسناً.

الاكبر ـ البيئة لها تاثير كبير على شخصية الانسان، لا اقصد المدرسة او بيئة العمل فقط، بل في المنزل وغيرها من جغرافيا تواجد الانسان، بل حتى عالم الافتراض، ففي هذه الأيام قد لا تقل تأثيرها على عالم الوجود الفيزيائي.

الشاب ـ واذا اعترفنا وعرفنا هذا التأثير، ما الذي تريد ان تصل اليه؟.

الاكبر ـ ان تكون شخصية محترمة ومتزنة فذلك يحتاج الى مقومات كثيرة وان لا تستهن بأبسط الأمور وتأثيراتها.

الشاب ـ كيف يعني؟.

الاكبر ـ طبيعة البيئة التي توجد نفسك في وسطها تحدد عليك أموراً لا تستطيع تغافلها او تقلل من تأثيرها السلبي او الايجابي، فمثلاً الاكل وطبيعة الغذاء الذي تأكله فذلك يؤثر على السلوك، تأثيرات وسائل الاعلام، بل حتى ألوان الملابس التي ترتديها.

الشاب ـ الألوان؟.

الاكبر ـ نعم مجتمعنا مثلا يستعمل اللون الأسود كثيرا وانا ضد هكذا افراط في استعماله.

الشاب ـ ماذا عن الأسود؟ سمعت انه يعكس القوة والسلطة.

الاكبر ـ وكذلك يعكس الحزن والموت والخوف، وما احوجنا الى الفرح والحياة والهدوء والسلام. وكذلك لا تستهين بدرجة نقاوة الهواء واهمية تاثير النظافة على الشخصية.

الشاب ـ اذن انت تدعو الى البحث عن الإيجابية في بيئة الانسان؟.

الاكبر ـ نعم وادعو الى عدم ترك الأمور للحظ او اهمال الأشياء تحت ذريعة انها لا تؤثر، فكل شيء يؤثر ولكن قد تكون في فترة او ظرف معين، فلا تستهن بها.

ولعل الأهم من حديثي ان الشخصية المتزنة هي شخصية تقبل المراجعة وتحتمل الخطأ في سلوكها ولا تخطئ الاخر ابتداء، لذا دوما يبحث عن الدقة وبوصلة السلوك القويم.

الشاب ـ لم اكن اعلم بأهمية الغذاء وترابطه بالتنمية الذهنية والنفسية.

الاكبر ـ مجتمعنا في طبيعة استهلاكه للغذاء مثلاً لا يعير أهمية لحيوية الفيتامينات على صحة الانسان وسلوكه، وعليه غذائه غير صحي، بل مضر في أحيان كثيرة، فقد يساعد غذاء معين على زيادة ضغط الدم، او مرض السكري، فالعقل السليم في الجسم السليم، والعقل السليم يأتي من الفضاءات والبيئة السليمة.

الشاب ـ وماذا عن التواضع والقسوة؟ اود ان نرجع لموضوعنا الأهم.

الاكبر ـ لا تستهن باي موضوع، فقد يكون محورياً من حيث لا تعرف، فكم كنا لا نعير أهمية للثقافة الصحية وعرفنا من نكبة كورونا كم هي مهمة بل وجودية.

الشاب ـ نعم والله اصبت كبد الحقيقة.

الاكبر ـ التواضع يا اخي له اثاره على الشخص والمجتمع، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ صدَقَ الله العلي العَظِيم (الفرقان: 63). فهي من اخلاق الاولياء والانبياء، وتؤدي في الاعم الاغلب الى ان تكون محبوباً في المجتمع.

الشاب ـ الى هذه الدرجة؟.

الاكبر ـ بل هي مفتاح لإيجابية الشخصية وتساعد على كسب خصال جميلة وحميدة أخرى مثل بر الاخرين والرفق والرحمة والصدق والإخلاص.

الشاب ـ وماذا بعد؟.

الاكبر ـ ترسخ الالفة والتآخي المجتمعي، وكما قلت مراراً انه من المهم ان نحدد البوصلة الأخلاقية لنا، واذا كان التواضع صفة مجتمعية فأنها تجعل ذلك المجتمع محل احترام وتقدير دولي وعالمي.

الشاب ـ وما هي الاعمال التي تحط وتقلل من اطباعنا بالتواضع؟.

الاكبر ـ كثرة التفاخر والتباهي.

الشاب ـ هل لكم من ملاحظات أخرى عن التواضع او بالأحرى الابتعاد عن النظرة الفوقية على الآخرين.

الاكبر ـ اعتقد هذا يكفي كنظرة شمولية عن هذه الخصلة الحميدة.

الشاب ـ وماذا عن القسوة؟.

الاكبر ـ ولماذا لا تقول الرحمة؟.

الشاب ـ وما الفرق بينهما، فالهدف واحد؟ وكلاهما وجهان لعملة واحدة.

الاكبر ـ ليس واحدة، بل الأولى ذات نظرة سلبية وتتحدث عن النصف الفارغ من الكاس والثانية إيجابية وتنظر للنصف المملوء منه.

الشاب ـ المهم ان الكاس نصفه فارغ ونصفه ممتلئ.

الاكبر ـ المهم نظرة الانسان الإيجابية للأمور فهي المحرك والدافع للتفكير والتعاطي.

الشاب ـ اتفق معك، ولكن ما تدعو له مرتبط بمنهج تفكير وثقافة مجتمع، وليس حالة شاذة هنا او هناك.

الاكبر ـ نعم، وكلما كنا نفكر بنفس طريقة التفكير والمرجعية الثقافية(العرفية) والدينية(الأخلاقية) والحكومية(القانونية) استطعنا ان نكون في وئام مجتمعي ومنتجين وبارعين اكثر.

الشاب ـ رجعت لموضوع الوئام.

الاكبر ـ مثلما انت سترجع وتبين لي لماذا تقول عنا باننا تائهون.

الشاب ـ كل يغني على ليلاه.

الاكبر ـ بالضبط، المهم ان نتفق على جمال شعر مجنون ليلى. ويروى في يوم من الأيام كان مجنون ليلى يسير مع بعض أصحابه، ورأى كلبا صغيرا أخذه ووضعه في أحظانه وأخذ يمسح عليه ويعطف عليه ويعطيه بعض الحنان فلاموه أصحابه على ما فعل فقال لهم:

رأى المجنون في البيداء كلبا فجر له من الإحسان ذيلا

فلاموه على ما كان منه وقالو لما منحت الكلب نيلا

قال دعو الملامة إن عيني قد رأته مر في حي ليلى

الحوار التاسع عشر

العلاج النفسي للقسوة

الشاب ـ وماذا عن القسوة، الا تعتقد انها تعكس القوة وان كانت بشكل فض؟.

الاكبر ـ ابدا فالقسوة عموما تعكس الضعف، وهي غلظة القلب وشدته، ومقولة «يحتاج الى الظلم الضعيف» ليست ببعيدة عن هذا الموضوع.

الشاب ـ كيف يعني؟.

الاكبر ـ الانسان مفروض منه ان يكون أليفاً وحسن الاخلاق مع الاخرين، فهذه هي الحالة الطبيعية وفطرته تعكس ذلك، وجوهر دوره ان يكون خليفة الله على الأرض، والله جل وعلا رسخ مفهوم الرحمن والرحيم مع بداية كل سورة في القران الكريم، باستثناء واحدة فقط.

الشاب ـ هل يعني ذلك ان القسوة معادية للوئام المجتمعي؟.

الاكبر ـ التعامل مع الناس امر حتمي وجزء من طبيعة الانسان ولا يمكن الاستغناء عنه، وعليه نرى ضرورة وجود العلاقات والصداقات والعقود كاطر وحدود لتحكم الانسان بعلاقاته، ومع التعامل يأتي التأثير والتأثر للإنسان.

وبخصوص الوئام، مفيد ان نعرف ان القسوة، تنمي العنف، وتبعدك عن اللين والرحمة وعموماً فهي تنمي سوء الاخلاق.

الشاب ـ أكُلّ هذا من القسوة؟.

الاكبر ـ نعم واكثر، قال تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الانعام: 43) وكذلك ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ صدَقَ الله العلي العَظِيم (آل عمران: 159). فالقسوة تميت القلب، وعدم الشعور بالندم او تأنيب الضمير وعليه الظلم يكون نتاج طبيعي لكثرة القسوة.

الشاب ـ إذن القسوة تؤدي الي عدم الشعور بالندم، وعليه سنرى عدم الاهتمام بشعور الاخر واستصغار جرح احاسيس الاخر.

الاكبر ـ نعم، ذلك ما كنا نبغ.

الشاب ـ وما أسباب ذلك؟.

الاكبر ـ البعد عن الله، حب الدنيا لدرجة نسيان الاخرة فمن تكون نهايته التراب لا يجدر به الاستعلاء او التكبر على الاخرين، وهناك سوء فهم ان القسوة تعكس المهابة وقوة الرجل.

الشاب ـ فقط هذه أسبابها؟.

الاكبر ـ كلا هنالك عوامل أخرى مثل أصدقاء السوء، اتخاذ السيئ مثلاً اعلى، البيئة التربوية غير الصحيحة، الظروف السيئة مثل عسكرة المجتمع وكثرة الحروب.

الشاب ـ اذن هي متعددة؟.

الاكبر ـ نعم، ومن المهم ان نعرف بانها نتيجة قبل ان تكون مقدمة، أي هنالك عوامل تنمي القسوة، وقد تؤول الى خصال اسوء.

الشاب ـ وكيف نعرف اعراضها ومؤشراتها؟.

الاكبر ـ تفضيل الذات على الاخرين وأنانيتها، الابتعاد عن فعل الخير او معاونة الاخرين مثل الفقراء والمحتاجين، التطبع على العنف والموت والافعال المشينة.

الشاب ـ هذه مقلقة.

الاكبر ـ نعم وضروري ان لا ننسى تغليب المصلحة الشخصية والتصرف من منطلقات الاهواء، وكثرة الجدال والتعصب للرأي والتكبر مع عدم قبول الحق وان عرفت بانك على باطل.

الشاب ـ وما نتائج هكذا خصلة؟.

الاكبر ـ خطورتها تكمن عندما تكون خصلة مجتمعية وليس حالة شاذة هنا او هناك.

الشاب ـ وكيف؟.

الاكبر ـ عندما نرى شيوع الكراهية، او التنافر بين أبناء المجتمع الواحد او حتى بين افراد العائلة الواحدة، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ صدَقَ الله العلي العَظِيم (آل عمران: 159) وغيرها من اثار ونتائج سلبية.

الشاب ـ ولكن نرى الكثير من العظماء ذوي قسوة وقوة؟.

الاكبر ـ بل لو تدرس تاريخ الطغاة ترى شعورهم بالخوف دوما، واعتقادهم ان نعمتهم ستزول بسرعة وعليهم الحفاظ عليهم باي ثمن.

الشاب ـ إذن ضروري ان نعرف كيف نعالج هكذا مرض خطير في المجتمع؟.

الاكبر ـ مساعدة الفقراء والمحتاجين والعطف عليهم، والقيام بالأعمال صالحة ونافعه وهي من الرياضيات المجدية لمعالجة هذا المرض.

الشاب ـ وهل هنالك أمور أخرى تساعد على معالجة هكذا مرض نفسي؟.

الاكبر ـ عندما ترى المجتمع يبتعد عن معالجة الخطأ ويتغاضى عنه مع ازدياد العنف بكل أنواعه، عندها علينا ان نعرف باننا نواجه مرضاً مجتمعياً وليس شخصياً ونفسياً.

الشاب ـ أليس ذلك بالأمر الطبيعي عندما نكون دوما في حروب مع الاخر او الإرهاب او حتى بين مكونات المجتمع نفسها؟.

الاكبر ـ ذلك امر طبيعي ولكنه ليس بصحي؟.

الشاب ـ وما الفرق بينهما، صحي او طبيعي؟.

الاكبر ـ الفرق شاسع، فمع الطبيعي يعني اننا تطبعنا عليه وان كان شيئاً مشيناً او خاطئاً، فليس من الصحي ان نرى زيادة الجريمة او الكراهية او حتى العنف الاسري ولكنه شيء طبيعي اذا استمر المجتمع يعيش بعسكرته وعنفه وتخبطه ووو.

الشاب ـ أنت تتحدث عن التيه المجتمعي والمفروض ان نناقشه.

الاكبر ـ إذا كان هذا ما قصدت به بالتيه، فانا متفق معك.

الشاب ـ اقصد هذا واموراً أخرى، ووعدتني ان نناقشه باستفاضة.

الاكبر ـ وأنا عند وعدي، وانت وعدت بإعلامي بملاحظاتكم عن العولمة.

الشاب ـ وأنا عند وعدي بعد اكمال بعض القراءات والبحوث في هذا الموضوع.

الاكبر ـ جميل ان أرى فيك انك ترى بانك غير مستعد لحوار لأنك لم تحط به جيدا، المرء منا عليه ان يتحدث بجزء من ما يعرف وليس كل معرفته، وذلك ليكون متأكداً عما يتفوه به من قناعات وفهم.

الشاب ـ اذن اخي الكبير، نحن نعيش في وسط فيه قسوة مجتمعية وليس حالة فردية شاذة؟.

الاكبر ـ نعم مع تطبعنا على الموت والقوة والعسكرة والدم وهتك الحرمات، فالنتيجة الطبيعية وغير الصحية هي شيوع القسوة بين أبناء المجتمع وبين المجتمع ومن هم خارج حدوده، ولعل أخطرها عندما يكون رجالات الدولة لا يعرفون غير القسوة كمنهج في تعاملاتهم مع ابناء المجتمع.

الحوار العشرون

خدمة المجتمع، فضيلة

الشاب ـ اخي، كنت في السابق اراك تستثمر كل فرصة عند خروجك من الدار في قضاء حوائج الناس وخدمتهم، اما الان فاراك تفضل الجلوس في الدار والابتعاد عن الفعاليات الاجتماعية وكذلك قل ما أرى أصابعك في مشروع خيري مجتمعي.

الاكبر ـ ماذا أقول لك ياخي الشاب، ملاحظتك فيها الكثير من الصحة ولكن قد لا تعرف الأسباب، وعند معرفتك قد تعذرني.

الشاب ـ لم افكر فيها كثيرا لأبرر او اجد الذريعة لكم؟ ولكن كنت في السابق اراك فرحاً ومبتهجاً وان كنت تتعب في الخدمة، والان اراك حزيناً او لا تعكس الراحة في تعاملاتك المجتمعية وخصوصا الخدمية منها.

الاكبر ـ في السابق كنا نخدم بطهارة قلب ونقاوة نية والأخر يقبل ما نقوم به وهو الممتن، اما الان فاشعر باننا فقدنا عذرية العمل الطاهر في خدمة المجتمع وكذلك نعرف بان الاخر من أبناء المجتمع يتوقع منا اكثر من ما نقدم ونراه يتمتم عندما يغادر لقاءاتنا.

الشاب ـ إذن ملاحظاتي دقيقة، هل للعمر من دور، فانت لم تبق ذلك الشاب؟.

الاكبر ـ أتسخر من الكبر؟ كلنا سنكبر وان لم نرغب بذلك.

الشاب ـ لا والله ولكن أحاول ان افهم ماذا جرى؟.

الاكبر ـ عوامل متعددة، العمر اقلها تاثيرا، بعضها طبيعية وان لم تكن صحيحة وبعضها صحية.

الشاب ـ كيف، انا افكر في زيادة صرف الجهد على الاعمال الخيرية، ولكن عندما أرى ما يحصل معك، اشعر بانها قد تكون جهوداً غير مجدية.

الاكبر ـ كلا ابدا، قدم وتعلم وضع لمساتك على المجتمع وتنميته، فما كان لله ينمو.

الشاب ـ كيف وانت تشتكي الان من الحالة؟.

الاكبر ـ ضروري ان تفهم الكلية قبل الحكم على الجزئية كما يقولون في علم المنطق، فالعمل الطوعي وخدمة المجتمع من احلى الاعمال وأكثرها بركة واثراً ونفعاً على الانسان منا.

الشاب ـ اكثر، اجمل، انفع، كلمات مفعمة بالحيوية وغنية، فما الخبر؟.

الاكبر ـ نعم هي كذلك، في السابق قبل دخولنا في السياسة، كنا لا نتدخل في أمور الدولة خوفا من تبعاتها، وكنا نصرف اغلب جهدنا في كسب العيش وخدمة المجتمع عن طريق المسجد والمراكز الثقافية والتربوية.

المجتمع كان ممتناً لأننا لم نكن نكسب مادياً إزاء خدمتنا له بل كنا نصرف من مالنا الخاص وان كان قليلاً، وعليه كنا موضع احترام وتقدير وفخر.

الشاب ـ ولماذا تغيرت الصورة؟.

الاكبر ـ لعدة أسباب، دخولنا في السياسة لوث تفكيرنا وقلل من جهدنا وسط المجتمع وزاد من شعور الاخر باننا نستفيد ماديا وسياسيا من هكذا تعاطي، أي المجتمع ممتن علينا بعد ان كانت لنا منة عليه.

الشاب ـ وهل المعاملات المجتمعية تثمن بمفردات مثل المحابات؟.

الاكبر ـ كلا، ولكن اتحدث عن طبيعة العقد الاجتماعي الحالي بيننا، عمل طوعي، يعني لا توجد مكاسب مادية، وعمل في الحكومة والسياسة معناها اننا نصعد في سلم المسؤوليات والسلطة، هكذا يقيم المجتمع واقعنا الان.

ومن الضروري ان لا انسى ان المجتمع الان يتوقع منك ان تعينه في القطاع العام، او تخلصه من مشكلة وقع فيها باي طريقة وان خالفت القانون او الضمير او الحق العام، بل حتى لو تضرر طرف ثالث فذلك شأن لا يعنيه.

الشاب ـ يعني معاملات رجل السلطة مع المواطن أصبحت معادلة مادية بحته، وكذلك نفعية على حساب الحق او العدالة، من جانب اخر الا تعذر ذلك المواطن الذي يحتاج ان يبحث عن وساطة في كل معاملاته والتي يفترض ان تسهلها الدولة، ربما تتذكر حديثكم عن حفظ كرامته.

الاكبر ـ تستطيع ان تقول ذلك.

الشاب ـ ولماذا كل هذا الثناء والتشجيع على العمل المجتمعي اذا كانت هذه نتيجتها؟.

الاكبر ـ طبعا مفيد ان اذكر باننا في حينها كنا بعيدين عن تلوث السلطة ونيتنا انقى وابسط ولم نكن ننتظر المقابل، اما الان فالعقل الجمعي ملوث، والعمل الطوعي يساء فهمه، فضلاً على اننا لا نعرف بالضبط ما هي طبيعة العقد الاجتماعي بين من يقدم خدمة ومن يستلمها، وكذلك اصبحنا نحن في حيرة وتشويش في طبيعة علاقتنا مع الناس.

الشاب ـ اذن انتم من تحتاجون ان تجدوا معادلة منصفة مع المواطن، وفي الوقت نفسه لا تجعلوا المواطن يحتاج لكم مباشرة بل تكون مؤسسات الدولة جديرة وملزمة بتقديم الخدمة والابتعاد عن مفهوم المنة من اي طرف.

الاكبر ـ نعم، هذا المفروض، وبخصوص اهمية العمل الطوعي وخدمة المجتمع، هذا العمل له فوائد متعددة، مثل التواصل والابقاء على الاتصال المباشر مع المجتمع وخدمته في سبيل تطويره ورقيه، وتساعد على تنمية العلاقات الاجتماعية وتنمية المهارات وتوسيع شبكة العلاقات والصداقات، فضلاً على الاثراء بتبادل التجربة والخبرات في مجالات مختلفة.

الشاب ـ ولكنها مرهقة جسديا وفي طبيعة الحال غالباً ما تحتاج الى جهد كبير.

الاكبر ـ بالعكس، فالعمل الطوعي يساعد على التنمية البدنية والعقلية، كما يساعد على الحد من التوتر والقلق وينمي الثقة بالنفس والشعور بالراحة النفسية بزيادة المتعة في الحياة.

الشاب ـ اليس الافضل ان نصرف الوقت في اتقان ما نعرفه بدل تشتيت الجهد؟.

الاكبر ـ بل هي تحفز على الحصول على خبرات جديدة في مجالات لم تكن على تواصل معها، وانها تعطي الثقة وتنمي او تكتشف مهارات جديدة ومنها التواصل وحل المشكلات والتخطيط للمشاريع وادارتها.

كما ان من الضروري ان لا تنسى ان الهدف هو تحقيق الخير والاحسان، وتقليل ظاهرة الفقر، ونشر التكافل والتضامن الاجتماعي بين افراد المجتمع، وهذا سيؤدي الى تعزيز دور القيم الاخلاقية الحميدة، والتي تودي بدورها الى نهوض المجتمع.

الشاب ـ اذن جنابكم تقولون ان هنالك دورة حياة للتنمية، والعمل الطوعي جزء مهم منها؟.

الاكبر ـ كيف نريد ان نبني مجتمعاً راقيا محل احترام وتقدير عند الاخرين اذا لم ندع الى إنماء ثقافة التعاون وان تكون من اركان المجتمع الاساسية، حيث ينمو مع التعاون الشعور بالمسؤولية العامة عند المتطوع وهذا يعني ترسيخ مفهوم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

الشاب ـ بالمناسبة بخصوص حديثكم عن المنة، هل ممكن ان نستنتج ان العمل الطوعي يحافظ على كرامة صاحب الحاجة ايضاً؟.

الاكبر ـ كيف يعني يا اخي الشاب؟.

الشاب ـ اذ ان الفقير قد لا يطلب مساعدة الاخريين له، وحفظ كرامته امر ضروري، لكي لا يحمل ضغينة ضد المجتمع وعلى أصحاب المال خاصة.

الاكبر ـ هذا سيقلل من محاولات السرقة بالطبع عند الفقراء وكذلك يعزز الشعور بالعطاء والتخلص من الانانية عند الاغنياء.

الشاب ـ يمكن اعتباره «زايد خير» يهدف الى تحقيق تكامل اجتماعي، ويزرع المودة بين الغني والفقير، ويهذب النفس الانسانية واخيرا نرى ارتقاء الامم التي تلتزم وتشجع عليها.

الاكبر ـ احسنت، وكما قلت دورة الحياة والمجتمع تتطور وهذا ما نحتاجه نحن في العراق.

الحوار الحادي والعشرون

تغيير منهج المجتمع مقدمة للتنمية

الشاب ـ حديثك ليلة امس عن العمل الطوعي وخصوصا الاجتماعي منه جعلني افكر بطريقة أخرى في استثمار الوقت والجهد.

الاكبر ـ تقصد استثمار ما ترغب ان تقدمه للمجتمع او بخصوص مشروع عملك الريادي والذي تحدثنا عنه واستخدام التكنولوجيا؟.

الشاب ـ اقصد اذا اردنا ان نكون عناصراً ايجابية في تغيير المجتمع، ومع وصولي لقناعة ان الشباب هم الفئة الوحيدة التي عليها العمل الان، وليس الاتكال على الغير وخصوصاً جيلكم، فمن الضروري ان نعرف كيف نستفيد من الوقت وطاقاتنا ولا نهدر الفرص ونخلق حالة تغيير مجتمعية جديدة.

الاكبر ـ حالة ماذا؟.

الشاب ـ حالة بناء جماعي، يشارك فيه الكل، كل حسب قدرته، ولا يتكل على الاخر، خارج او داخل الحدود، لإخراجه من هذا الوضع البائس.

الاكبر ـ تحمل المسؤولية والمبادرة من اهم عناصر التنمية للمجتمعات غير المتقدمة.

الشاب ـ تقصد المجتمعات المتخلفة؟.

الاكبر ـ لا احب هذه الكلمة، ولا اعتبرها دقيقة، لان التخلف تعني اننا نحتاج او سنعتمد على عامل الوقت فقط وهذا غير دقيق، ليس لدينا متسع من الوقت للانشغال بترسيخ ثقافات ومناهج خاطئة.

الشاب ـ على كل حال، هنالك عوامل مختلفة ممكن ان تلعب دوراً إيجابياً في عملية إدارة التغيير، منها أولا التكنولوجيا وهي سلاح ذو حدين ولها الكثير من الإيجابيات اذا احسنا استخدامها. وثانيا هنالك عامل الطاقة الشبابية وكثرة الشباب، فالعراق لا ينقصه ايدي عاملة بل ايدي ماهرة، أي طاقات ذات خبرة ومهارة في البناء والتنمية بدل من استقدام ايدي عاملة من الخارج. وثالثاً الهدفية وتحديد أولويات واضحة وممكن الوصول اليها، وليس قائمة تمنيات وشعارات لا نعرف كيف نترجمها الى الواقع.

الاكبر ـ ملاحظات مهمة.

الشاب ـ هناك معوقات نحتاج ان نتجنبها او نعالجها، مثل انطواء المجتمع على نفسه وعدم الانفتاح او تعلم تجارب الغير، طبيعة تركيبة وضعنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي يحتاج الى إعادة تأهيل على أسس إنتاجية وليس أيديولوجية عفى عليها الزمن، وطبعا ان لم نعالج آفة الفساد فلن نرى تدفق أموال او استثمارات داخلية او خارجية كبيرة.

الاكبر ـ وماذا بعد؟.

الشاب ـ ضروري ان نفكر كيف نوجد المواد الخام المعنوية والمادية للتنمية مع عدم منع الابداع والتفكير خارج الصندوق، مفردات مثل فشل، عيب، ليس من جلبابنا او غيرها نحتاج ان نتجاوزها بلياقات الجغرافيا ومعطيات الحاضر.

الاكبر ـ لا اعتقد ان لدينا مشكلة مبدعين.

الشاب ـ لدينا مشكلة العمل الجماعي، وفي هذه الأيام ومع العولمة فان الاعمال الفردية لا تتطور كثيرا ومن الضروري ان نفكر باليات ومنهجية العمل الجماعي.

الاكبر ـ الا ترى ان الوضع السياسي يا اخي الشاب لا يسمح بمثل هكذا منهج او طريقة غير مألوفة في الحركة، ولا تنسى نحن مجتمع محافظ؟.

الشاب ـ بل على العكس، الحروب والعوامل السياسية والبيئية وغيرها هي التي ستنتج وتؤدي الى تغيير اجتماعي، لا تنسى ان مجتمعنا يمر بصيرورة في الأمور الفكرية ودوره في التاريخ، فضلاً على ان النظرية الاقتصادية الريعية اثبتت فشلها او هي الان جزء من التاريخ.

الاكبر ـ اذن انت تعول على حركة التاريخ؟.

الشاب ـ انا اعول على ان الوضع الحالي غير القابل للإدامة، وان التغيير قادم، شئنا ام ابينا، وعليه اما ان نشارك في هندسته، او انه سيكتسح جيلكم تماماً وسيحرق جيلنا كوقود للمرحلة القادمة، والتغيير سيجعل من الجيل القادم بخيره وشره كياناً اخر لا يشبهنا كلانا.

الاكبر ـ نظرة سوداوية، يا اخي الشاب.

الشاب ـ بل واقعية سياسية وهذا ما نراه من مصير الأمم الأخرى.

الاكبر ـ ولكن نحن قلب التاريخ ومهد الحضارات ولدينا مقومات القوة المتعددة.

الشاب ـ اذن: اين المشكلة؟ ولماذا لسنا ببلد متقدم او حتى تنموي محترم، ولماذا كل هذه اللعنات والنكبات والحروب ووووو ان كنا مثل ما تقول؟.

الاكبر ـ تحدثنا في هذا الموضوع سابقاً.

الشاب ـ ولم اقتنع او يقتنع غيري بالإجابات الجاهزة، بل بالتبريرات والاعذار التي نسمعها كل يوم.

الاكبر ـ وما هي الإجابة المقنعة، يا من تعتقدون بانكم تفهمون كل شيء؟.

الشاب ـ لا نفهم شيئاً، هل تشعر بالراحة الان؟ الا شيئاً واحداً، ان الموجود من واقع غير مقبول (على الأقل منا نحن الشباب) بل وليس مقنعاً باي شكل من الاشكال لأي طرف منصف (الا اللهم رجال السلطة المستفيدين) وان التغيير يعني ان نعترف بالخطأ ونعرف باننا كمجتمع لم ننجح في نقل الأمانة الى الجيل القادم، بل الانا وقصر النظر وغيرها من خصال سلبية تعكس التيه المجتمعي الذي نعانيه.

الاكبر ـ رجعنا للتيه المجتمعي وبني إسرائيل!.

الشاب ـ «التاريخ يعيد نفسه» مقولة انت تؤمن بها، والتيه عينة او مثال صارخ فلماذا تستثني العراقيين منه؟ واعرف باننا لا نريد ان نكون باي شكل من الاشكال قريبين من هذا المثال التاريخي، ووعدتك بالحديث حوله.

الاكبر ـ لنرجع للجغرافيا، ماذا تقصد بانكم ستكونون محرقة للجيل القادم؟.

الشاب ـ قلت وقوداً وليس محرقة، نعم انتم كجيل سابق صرفتم اغلب طاقاتكم في معارك وحروب وصراعات غير منتجة، ونحن الان نمر بمرحلة مشابهة في صراعات سياسية غير منتجة، وفي محاولة استكشاف اثر الفساد على سحب أي اوكسجين صحي في فضاءات الشباب. أي اننا الان لا نركز طاقاتنا على البناء للجيل اللاحق، وعليه سنحرق ويمر الزمن من دون ان نعرف ماذا قدمنا من ثروة او امانة ثمينة للجيل اللاحق.

الاكبر ـ جميل ان اراك تفكر بالأجيال اللاحقة وانتم شباب.

الشاب ـ لا نفعلها رغبة، بل لم تتركوا لنا كجيل سابق فسحة لشبابنا ومتعته وتحرره من أي مسؤولية، سامحكم الله.

الحوار الثاني والعشرون

الشباب فاعل التغيير

الاكبر ـ تتحدث عن قيادة التغيير يا اخي الشاب، فهل الشباب متهيئون لمثل هكذا تحدي ومهمة؟.

الشاب ـ ولم لا يا اخي الكبير؟.

الاكبر ـ المجتمعات عموما تتجنب التغييرات الاجتماعية لأنها يمكن ان تقود مجتمعاتهم الى المجهول، مع ادراكهم بالحاجة الى التغيير وإمكانية جعل عالمهم افضل.

الشاب ـ «عموماً»، اعتقد تقصد المجتمعات المتخلفة مثلنا، لان المتطورة منها تبحث وتحث على التغيير خصوصا بعد خروجهم من الحروب، وتعلمهم الدروس منها، من جانب اخر الشباب هم القادرون على التحدي ويمتلكون الشجاعة الكافية لمواجهة المجهول.

الاكبر ـ ومن يقول ذلك؟ وفي أي قطاع تقصد؟.

الشاب ـ في السياسة، والتعليم واستخدام التكنولوجيا، فضلاً عن دور فعال في بناء البنى التحتية المطلوبة. يجب ان يكون للشباب حصة الأسد في قيادة او إدارة المرحلة القادمة، فهم محرك تحسين المجتمع وتجديده، وذلك لانهم يحسنون التعامل مع الابتكارات والمهارات المطلوبة للمرحلة القادمة.

الاكبر ـ لا اعتقد شبابنا مهيّأ.

الشاب ـ الشباب هم عماد المجتمع وعصبه، وهم يتمتعون بالقوة والنشاط ويستطيعون توظيف حواسهم كافة وعليه من الضروري ان ينتفع بهم المجتمع.

الاكبر ـ بل اراهم يهتمون بالموضة وقصة الشعر والتركيز على انتقائيتهم الموسيقية او الاكسسوارات وميولهم الفنية اكثر مما تفظلتم به يا اخي.

الشاب ـ نعم الشباب يهتمون بمظهرهم الخارجي وهذا شيء طبيعي وصحي، ولكن علينا ان نعمل على بناء جوهرهم الداخلي وإيجابية تطلعاتهم وتصرفاتهم. وضروري ان تتذكر عندما كنت شاباً ماذا كانت بعض من اهتماماتكم فهذه من سنن دورة الحياة.

الاكبر ـ لا اعتقد ان شبابنا ناضج حيث نرى استمرار تغييرهم وتبدل اولوياتهم، نعم ان توجهوا للخير انتفع المجتمع بهم، وان توجهوا للفساد فالدمار والهلاك مصيرنا.

الشاب ـ الشباب بطبيعتهم معطاؤون ويسعون نحو تحقيق الأهداف (بخيرها وشرها) وبناء الذات والتمرد والرغبة الشديدة على الخروج من العادات والقيم.

الاكبر ـ حسناً، وتحدثنا عن أهمية القيم، فكيف تريد مني ان اثق بمن يريد ان يدمر معتقداتي؟.

الشاب ـ لم اقل القيم المثلى او الإيجابية، فقد نحمل قيماً متخلفة وغير بناءة.

الاكبر ـ ولكن نراهم ذوي أنانية وسرعوا الغضب ويعيشون التوتر، وبالتالي فإنَّ هذه المرحلة تتطلب توجيه الشباب ذهنياً وفكرياً ومساندتهم، قل لي من سيفعل ذلك؟.

الشاب ـ لهذا كنت اتحدث معكم عن مسؤوليتكم في بناء ونقل الأمانة الى الجيل القادم.

الاكبر ـ الشباب عندنا يحملون الكثير من المفاهيم المنحرفة، وعن كل ما يمت للماضي بصلة، وخرقهم للقيم المجتمعية شيء طبيعي عندهم.

الشاب ـ هناك ملاحظات سلبية كثيرة على شبابنا، ولكن ضروري ان نفهم أسبابها لنعالجها؟.

الاكبر ـ أسباب مثل ماذا، هنالك انحراف واضح؟.

الشاب ـ هناك الكثير من الأسباب التي تقودُ الشّباب إلى طريق الانحراف، منها الفقر او ضعف الواعز الدينيّ(الأخلاقي) او الفراغ او فسادُ بيئة الإنسان منهم أصدقاءُ السّوء او فسادُ الابوين او اليُتم، وأخيرا أقول هناك مشكلة في العدالة الاجتماعية فقسم من الشباب يواجهون مشكلة كثرة المال او الحرية المطلقة.

الاكبر ـ وكيف ترى الحلول لمشكلة الشباب؟.

الشاب ـ لا بُدّ من إيجاد حلولٍ منطقية تُعيد الشّباب لطريق صّحيح وسّليم لمجتمعنا، ومن أبرزها ترسيخ مفاهيم وسلوكيات مكارم الاخلاق والفضائل والقيم التي تقيهم طريق الانحراف، والقضاء على الفقر وتحسين الاحوال المعيشة للأسر التي ترتع في مستنقع العوز، او التركيز على التعليم واهميته بدل صرف الميزانيات الكبيرة على العسكرة، طبعا كل هذه

الأمور تحتاج الى تضافر جهود مُختلفة للمؤسسات الحكومية والتربوية والدينية والاجتماعية كالأسرة والمدرسة.

الاكبر ـ الشباب لديهم الثقة المفرطة بأنفسهم، وطموحهم غير واقعي، ونشاطهم مضر اذا لم يتجه نحو البناء ولا اعرف ما هي العوامل والأطراف التي تؤثر على تكوين آرائهم وقراراتهم وان كانت مستقلة.

الشاب ـ نعم إن حب الشباب لاستكشاف كل ما هو جديدٌ قد يؤثر سلباً عليهم وبالتالي قد يوقعهم في المشكلات والخطر وهذا شيء متوقع، وعليه نحتاج الى مشروع قومي/ وطني لخلق أجواء إيجابية بناءة لهم، فمثلا الحرية موجودة وعلينا توجيهها نحو الحرية الإيجابية وليس الفوضى وهلم جراً.

الاكبر ـ ممكن أن تحدد لي اين ترى دورهم في البناء للمرحلة القادمة؟ انا لدي ملاحظات في هذا الامر ولكن اود ان اسمع رايكم أولا؟.

الشاب ـ نحتاج الى تشجيع دورهم في الحياة السياسية بعيداً عن كونهم جنوداً او عمالاً ثانويين، ولعل الانتخابات القادمة فرصة جيدة لنا، وكذلك مشاركتهم مهمة في قضايا الرأي العام وفي مؤسسات المجتمع المدني وخصوصاً المحلية والخدمية منها، هنا ممكن جدا ان تكون علاماتهم واضحة على المتنزهات العامة او اماكن الترفيه والرياضة والتعليم المجتمعي او الاعلام.

الاكبر ـ هنالك متطلبات مختلفة من المجتمع تجاه الشباب، ومن الضروري ان نسعى لإيجادها، وان كنت اعتقد ان متطلبات الشباب متشابهة بمعزل عن البلد الذي يسكن فيه الا ان في الحالة العراقية هذه المتطلبات مهمة اكثر ومتعددة.

الشاب ـ مثل ماذا؟.

الاكبر ـ نحتاج منهم ان يفكروا بوسطية واعتدال وليس بتطرف، وكذلك عدم التعصب والثأر، واعتقد ان من الضروري الاعتماد على النفس بدل الاتكال على الاخرين وبالأخص من هم خارج الحدود وذلك ليعززوا الهوية الوطنية الهشة، عندها سنرى زيادة الاحترام للشباب من كل من كل طبقات المجتمع واجياله.

الحوار الثالث والعشرون

حقوق الانسان حق ام منحة؟

الاكبر ـ لماذا اسمع منك دوما اخي الشاب عن حقوق الشباب والانسان ولا تتطرق كثيرا لحقوق الدولة على المواطن؟.

الشاب ـ ومن قال يا أخي الكبير باني لا اؤمن او أطالب بتحمل المواطن والشباب المسؤولية التي على عاتقهم؟.

الاكبر ـ لا اسمع منك الا التركيز على الحقوق وترك الواجبات؟.

الشاب ـ هي معادلة دقيقة ونحتاج ان نعرف ماذا علينا وماذا لنا لكي نستطيع بعدها ان نعرف كيف نبني وعلى أي مادة تقوم اساسيات البناء.

الاكبر ـ هي معادلة واضحة تعتمد على غيرة المواطن على بلده ومدى استعداده للعطاء قبل الطلب.

الشاب ـ وماذا لو كانت الدولة ظالمة، ولا تعطي للمواطن حقه؟.

الاكبر ـ وكيف تريد ان تفضل الاخذ على العطاء وتريد ان تبني وتطور؟ الايثار من أسس ومقومات الدول العريقة.

الشاب ـ اعطينا سابقا دماءً وعرقاً وتضحيات وجهداً ولم نرَ في المقابل احتراماً او صيانة او بناء.

الاكبر ـ اعطيتم لنظام سابق كان يريد ان يستعبدكم، وهذا غير موجود الان.

الشاب ـ نعم النظام الحالي ليس بنظام شمولي ولا نستطيع ان نقول انه بوليسي.

الاكبر ـ لا تستطيع ان تقول!! عجبي من تبطركم، فانت تستطيع ان تسافر وتعمل وتصرح بالحق والباطل ووو وبعدها تقول ليس بدولة بوليسية!!

الشاب ـ نعم لدينا دستور يتحدث عن حقوق الانسان وانا اريد منه ذلك، نقطة راس سطر، لا زيادة ولا نقصان، ممكن؟.

الاكبر ـ غير ممكن في هذه الظروف، فذلك ممكن فقط عندما تستقر الأمور ويعم السلام والأمان والوئام السياسي ووو.

الشاب ـ تقصد بعد قرن من الزمن، ويحترق جيلك وجيلي وجيل اولادي ووو أي منطق هذا، اليست هذه هي العبودية التي نرفضها ونريد حقوقنا كرادع لعدم تكرارها وخصوصا ونحن نرى استمرار هتك حرمة المواطن تحت ذرائع مختلفة منها الظروف الاستثنائية، والتركة الثقيلة، والمؤامرة الدولية ووووو، كفى، اعطونا حقنا وبعدها نتحدث عن واجباتنا.

الاكبر ـ تريد ان تكون معادلة بناء الدولة والمجتمع كأي صفقة بيع وشراء، يعني علينا ان نبحث عن تاجر وليس مواطن!!.

الشاب ـ كلا وانما اريد من الدولة ان تتعامل معنا كأي اب عادل مع ابناءه، الاب دوما مستعد ان يعطي اكثر من ان يأخذ، والأب دوما يريد الخير لأولاده وابنائه على حساب راحته الشخصية، عندها سترى الشباب يضحون بالغالي والنفيس من اجل حفظ وصيانة بلدهم وازدهاره.

الاكبر ـ أي حقوق تريدون وانتم حصلتم على اغلبها؟.

الشاب ـ ضروري، قبل ان اتطرق لقائمة الحقوق، ان نتحدث عن المبادئ العامة للحقوق.

الاكبر ـ أية مبادئ؟.

الشاب ـ حقوق الانسان تعتمد على مجموعة من المبادئ العامة التي تحدد سير عملها بموجب تشريعات وقوانين يتبناها المجتمع او القانون الدولي، هذه التشريعات تلتزم الدول بها كضمان لتعزيز وحماية حقوق الانسان.

الاكبر ـ حسناً، ما شاء الله.

الشاب ـ اول هذه المبادئ انها عالمية وغير قابلة للتحويل، وثانيها انها مترابطة وغير قابلة للتجزئة، وثالثها المساواة ومن الضروري ان تحصل دون تمييز، وأخيرا حقوق الانسان هي حقوق والتزامات.

الاكبر ـ اذن اما ان نقبل الكل او لا حقوق للإنسان، وأين المرحلية او خصوصية المجتمع او تعقيدات الحالة العراقية؟.

الشاب ـ كما قلت سابقا كوننا حالة خاصة أسطوانة ملينه منها.

الاكبر ـ ليست بأسطوانة بل واقع موجود محسوس ومتجذر في وجدان الدولة وافراد المجتمع.

الشاب ـ اذن علينا ان ننسلخ منها وننزع جلباب كوننا حالة خاصة، فلا نحن شعب الله المختار ولا الاخر عبيد عندنا، فأي مواطن في أي بقعة من الأرض له حقوق وواجبات حقوق الانسان العالمية.

الاكبر ـ انت تعيش في طيات كتب الجمهورية الفاضلة، اقترح عليك بعض الواقعية.

الشاب ـ انا ارفض الواقع وأريد ان اغيره عنوة او بالحوار.

الاكبر ـ الحوار ولا شيء غير الحوار، ويجب ان لا تفكر بتغيير الحال الا بالحوار وتنسى العنوة وترفض عسكرة المجتمع.

الشاب ـ لا اريد العنف ولا اقبل بالأعذار بعد اليوم.

الاكبر ـ نرجع لموضوعنا، أي الحقوق تتحدث عنها؟.

الشاب ـ حق المساواة امام القانون، او حق عدم التدخل في شؤون حياتي الشخصية، او حق التنقل داخل كل العراق من دون مضايقة، حق الحرية وعدم العبودية لأي حزب او كيان سياسي او اثني او طائفي او قومي، حق اللجوء الى المحاكم لأخذ حقي باحترام وعدالة، حق زواج البنت برضاها لا بعنوة او ان تكون غير بالغة، حق التفكير وحق التعبير وحق المشاركة في الحكم وإدارة الأمور العامة للبلاد، وحق اختيار العمل المناسب، وحق التعليم المجاني، وأخيرا أقول حق العيش بمستوى معيشي قادر على تلبية متطلبات الحياة بعزة وكرامة وليس كونها منّة من دولة او حزب او أي كيان اخر.

هل ما اطلبه غريب او نوع من البطر او حتى خيالي؟.

الاكبر ـ لا والله حقك ولا استطيع الا ان اشجعك على التمسك بها.

الشاب ـ اذن لماذا علي ان اخذها ولا تعطى لي؟.

الاكبر ـ لأنك تمس مصالح الكثير من الذين يريدون ان يستفيدوا من عدم تطبيق هذه الحقوق، وان ما تطالب به يعني فقدانهم الكثير من مقدرات هي ليست لهم، وهنالك أسباب أخرى. انا لا اختلف مع ما تريد ولكن أقول بانه لن يأتي بليلة وضحاها لذا عليك ان تكون صبوراً وذو استراتيجية طويلة الأمد.

البناء العظيم والقويم لا يبنى بالبناء السريع او ذي الاستعمال الواحد، بل قوته في قدرته على البقاء وتحمل الأجواء والمناخات المختلفة مع مرور الأجيال والازمنة.

الشاب ـ وهل ما نطلبه شيئاً كمالياً؟.

الاكبر ـ كلا ابدا ولكن هناك أمور أخرى لم تذكرها واراها مهمة للواقع العراقي.

الشاب ـ أمور، مثل ماذا؟.

الاكبر ـ ليست أموراً بل حقوقاً، واذكرها كوني كنت ضحية نظام دكتاتوري وعشت حالتها، مثل حقوق عدم التعرض للتعذيب او حق المعتقل، حق الامن الشخصي، او التجمع السلمي، حق الطفل وأخيرا اقل حقوق الأقليات وخصوصاً واننا نخلط بين الديموقراطية وبين حقوق الأكثرية.

الشاب ـ نعم ملاحظاتكم دقيقة، شكرا على تذكيري بها.

الاكبر ـ ليس تذكيراً بل تكملة.

الحوار الرابع والعشرون

الوطن للجميع

الاكبر ـ جميل ان اسمع منك كشاب معطيات الاهتمام في كيفية البناء السليم للوطن، إذ اسمع منك دوماً مطالبك من الدولة ولا اسمع عن استعدادك بما تعطي لها.

الشاب ـ انا وغيري من الشباب مستعدون للعطاء ولكن بعد وجود مستلزمات عقد اجتماعي واضح ومنصف.

الاكبر ـ رجعت لصيغة العقد والشراء وكأنك تاجر وليس مواطناً او شخصاً يريد ان يبني، لماذا تلومنا نحن الجيل السابق بالإهمال اذا كنت تنتهج الأسلوب والمنهج نفسه؟.

الشاب ـ ابداً، انا اختلف عنك، نحن المستقبل وانتم الماضي، ولا نريد إعادة الماضي.

الاكبر ـ ومن قال ان الماضي كان كله سيئاً او فاشلاً؟.

الشاب ـ هذا ما نحس به، نعم الماضي القديم للوطن قد يكون مزدهرا او ذا نفس إيجابي او حتى سعيداً، ولكن الماضي القريب فلا نعرف عنه الا العسكرة والظلم والاضطهاد والتعسف ضد من يختلف مع النظام وطاغيته.

الاكبر ـ الوطن عندي هو الجغرافيا وارضنا وعرضنا وعليها نشأنا وترعرعنا وتزوجنا وولد ابناؤنا، وعليه يسكن الاحبة والأصدقاء وقبور الوالدين والاولياء والسلف الصالح، هو انا باسمي وتاريخي وعنوان حضارتي، الوطن يعني لي بانه مهد الحضارات وعنوان التطور في التاريخ وعاصمة الإسلام الأممية ووو، هذا ما اعرفه عن الوطن.

الشاب ـ الوطن عندي هو البلد الذي يحفظ كرامتي، ويريد عزتي ومستعد ان يقاتل العالم من اجلي، هو الجواز الذي لا اذل اذا سافرت وانا حامله، وهو البلد الذي اشعر بالفخر لانتمائي اليه، وهو البلد الذي أرى أولاده من الأطباء معززين ومكرمين في مستشفياته بدل وجودهم في بقاْع الأرض الأخرى يخدمون في مستشفيات اوربا وامريكا، الوطن عندي يعني احتراماً للذات والجغرافيا وليس احترام التاريخ فقط.

الاكبر ـ وكيف تريد ان تصل لهذه الحالة من دون تضحية وخدمة ومساهمة فعلية من الكل، والحرص على ماله ومقدراته وثرواته، الدعاء للوطن والعمل الصالح يعني عودة الخير والصلاح، فهنا انطلقت اغلب الرسالات السماوية للبشرية وهنا علينا ان نقوي الروابط الاسرية والاخوة بين أبناء الوطن الواحد بمعزل عن قوميتهم ومذهبهم ومعتقداتهم الفكرية، بالمختصر أقول حفظ الوطن والوطنية تعني التضحية والدفاع عنها بالقول والفعل وافتدائه بالغالي والنفيس.

الشاب ـ تربية الأبناء على حب الوطن يأتي بغرس قيم الصلاح والأخلاق والافعال الحسنة من قبل اكبر مسؤول نزولا وليس العكس، نهضة الوطن لا تأتي بالشعارات والمشاعر بل بحب فعل الخير والفخر الفعلي بالانتماء لا بأدبيات الماضي وحنينه، او ادعاء حب الوطن والوطنية من دون السعي الحقيقي لحفظ الامن والاستقرار السياسي، بالمختصر أقول حفظ الوطن والوطنية تعني عندي النهوض بالأخلاق الرفيعة والأمانة والنزاهة والاخلاص للمجتمع وخصوصاً من قادته ليكونوا مثلاً اعلى لشبابه.

الاكبر ـ في الماضي كنا نشعر بحب الوطن من خلال رفع العلم وقراءة دروس الوطنية والمشاركة بالأنشطة المعنية بالوطن وحروبه والمؤامرات التي تحاك ضده، أي كنا نشعر ونعاشر الاحداث من منطلقات وطنية.

وعليه ترى واضحاً عندنا واجبات المواطن تجاه الوطن.

الشاب ـ واجبات مثل ماذا؟.

الاكبر ـ الولاء والإخلاص للدولة وبالتالي الوطن، الدفاع عنه واعتباره واجباً مقدساً، والدفاع لا يقتصر على الدم بل يتعدى ذلك الى المال والجهد واللسان وغيرها، وأخيرا احترام قوانينه والنظام العام.

الشاب ـ الحمد لله لم تذكر احترام الدستور لأنه شيء لا اعترف به، ولا غيري من الشباب.

الاكبر ـ ولكن الدستور هي الوثيقة والعقد الاجتماعي الذي تتحدث عنه، عجبي منكم ومن انتقائيتكم؟.

الشاب ـ كلا ابدا، الدستور عندي هو عقد افتراضي ان أكون مواطناً كونياً وعالمياً واعبر الحدود ومحدداتها من دون خوف او اكراه، انا ابحث عن مواطن القرن الحادي والعشرين والعالم الافتراضي، وجنابكم تتحدثون عن مواطن لعالم ما قبل الحرب الباردة.

الاكبر ـ احترام الدستور يعني تطبيق قوانينه وعدم خرق النظام العام والقيام بالواجبات والالتزامات الأمنية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها من منطلق حفظ امن واستقرار الدولة والمجتمع مع عدم التخريب في الممتلكات العامة واثارة الفوضى.

الشاب ـ حب الوطن لا يحتاج الى مساومة او مزايدة، ولا شعارات رنانة، حب الوطن يعني ان المسؤول والمواطن يحافظان على نظافة واناقة بلدهم، يلتزمان بالتعليمات والقوانين قبل غيرهم، يعملان على وحدة البلاد، لا يقولون شيئاً ويفعلون شيئاً مغايراً كأن تكون سياستهم اقصائية او تهميشية او شوفينية، يحافظان على موارد وثروات البلاد كأنها مالهم ويصونونها طوعا وليس لانهم مؤتمنان عليه فقط، بالمختصر حب الوطن يترجم ليعكس صورة حضارية عن الدولة ورجالاتها وصبغتها العامة، اين نحن منها يا اخي؟.

الاكبر ـ حب الوطن يا اخي غير مرتبط بدين او قانون او عالم افتراضي، بل هو شيء مزروع في قلوبنا منذ الصغر، ومن يفرط فيه سوف لن يجد مأوى في أي مكان اخر، نعم نحن قصرنا بان لم نغرس في الأطفال في المنهج المدرسي حب الوطن والوطنية واهملناها والان نقطف ثمار اهمالنا.

الشاب ـ وهل حب الوطن يدرس ام يبين عمليا؟ الست تقول بانه الام الثانية، اين حضنها وأولادها مشردون في بقاع العالم المختلفة هربا وجزعا واعتراضا على واقعها؟ الوطن كيان يهاب بين الأمم، وينعكس ذلك على مهابة أبنائه أينما حلوا، فتراهم مرفوعي الرؤوس وأنفسهم مليئة بالفخر والاعتزاز به وان لم ينطقوا بصريح اسمه.

الاكبر ـ حب الوطن فطرة في اعماقنا ولا يدركها الا من غاب عنه وعن طيب هوائه.

نسأل الله تعالى ان يحفظ وطننا ويمن عليه بالأمن والاستقرار والرخاء، وان يحفظه من كل شر ومكروه وسوء.

الاصغر ـ اللهم امين

من اين نبدأ ـ بين جيلين، صراع ام حوار؟

مع مراجعة الحوارات الأربعة والعشرين أعلاه والتي تضمنت بعض نقاط الخلاف والاتفاق بين الجيلين بشان مفاهيم وقيم وموضوعات مهمة مشتركة بينهما، يستطيع المرء منا ان يقر بان هنالك فجوة بينهما، وهذه الفجوة ليست مرتبطة بخلل معين هنا او هناك، بل مناهج تعاطي مختلفة للجيلين مع الاحداث وتفاسيرها وفهمها وكيفية التعامل معها.

دون ان نهمل حقيقة وجود خصوصية عراقية في الحالة وهنالك خصوصية أخرى مرتبطة بتأثيرات العولمة على مجتمعاتنا.

بالعموم لدينا اختلاف في طبيعة الجيلين وما ورثاه من تعاقب الأجيال التي قبلهما، اذ لكل جيل مكوناته الثقافية والنفسية والتربوية المختلفة، فمزاجهما ليس على وئام او على ذات التردد وهذه قد تنامت هذه الاختلافات مع الزمن وبالفعل تم تجاوز مراحل متعددة وكنتيجة طبيعية لظهور عنصر غير مألوف متمثل بالتكنولوجيا والثورة المعرفية والرقمية/ الاتصالاتية وتأثيرها على الحالة الاجتماعية مما أدى الى بروز حالة اشبه بالطلاق البائن في عدة مجالات بين الجيلين.

هنا نرى بوضوح التغيير الجيلي والبون الشاسع بين الجيلين والذي تطور الى وقوع اختلافات وخلافات في طريقة تعاطيهم مع مواضيع حيوية عديدة مرتبطة بالواقع والمستقبل.

لكل جيل رموزه وشخوصه ولكل زمان دولة ورجالاتها، ما الذي ورثه جيل الشباب من سلفه من الجيل السابق لكي يبني عليه ويستمر بمسيرة البناء والتطور المجتمعي؟ سؤال حاولنا ان نجيب عليه من خلال التكاشف بين الاخوين والحديث عن محاور متعددة والخوض في عمق بعضها، عسى ان نستطيع ان نعكس طبيعة المشكلة ومدى اختلاف وجهات النظر بينهما، فالاختلاف هنا شبه جذري وتعدى درجات الخلاف الكلاسيكية بين الاباء والابناء او بين الاباء والاجداد.

هنا نرى نسيان او تجاهل الاباء والجيل السابق فكر الأبناء ومشاعرهم وتطلعاتهم، ومن جانب اخر نرى عدم رعاية الشباب لظروف الجيل السابق وكيفية وصول الواقع الى هذه الحالة، أي ان الشباب الان ما عادوا يهتمون بالبعد الفكري والثقافي والعمري وانماط الحياة والعادات والتقاليد والتطورات التي مر بها الجيل السابق، وعليه نستطيع ان نقول ان الخلل يكمن في وجود طفرة جيلية وليس تطوراً مرحلياً او تطوراً مصمماً له او حتى طبيعياً من قبل الحكومة او قوى المجتمع المختلفة.

هنا نرى اصل الصراع بين جيل سابق يبحث ويريد صيرورة التطور في تعاطيه مع الشباب الى صالحه، والأخر الشبابي الذي يتعاطى مع صيرورة التطور في علاقته مع الجيل السابق.

هنالك تداعيات كثيرة لهذه الفجوة الجيلية والتي مع تطورها تحولت الى مشكلات مجتمعية، منها على سبيل المثال، الجمود العاطفي بينهما وانشغال احدهما عن الاخر واللامبالاة وعدم الاهتمام والذي أدى الى عدم الثقة بينهما.

هذه بعض من خصال المشكلة ولكنها تعكس عمق الخلل، عدم وجود الثقة بينهما ذلك يعني ان عامل التربية معدوم او غير مؤثر، وعدم وجود عاطفة يعني التفكك الاسري وبالتالي عدم الاحترام والتقدير. فضلاً على ان عنصر ضعف القدوة والياس سيدخل في المعادلة ويعقد المشهد. وحينئذ يتطور الحال من حوار الأجيال الى صراع الأجيال، عندها سوف لن نرى محاولات التعايش والتكامل بل فايروس اللاثقة سيفتتك بالنسيج الاجتماعي وبأمراض كثيرة بعضها ستكون مزمنة ومنها أنماط التفكير والحياة والسلوك الاجتماعي المختلف.

عند متابعة الاختلافات الجيلية تستطيع ان تشخص مثلا وجود محاولة فرض كل جيل على الثاني طبيعة الألبسة او انماط التصرف او الآراء او الأفكار وهذا بالأمر الطبيعي والمتوقع عبر الأجيال، ولكن في حالتنا نرى ازدياد حدة واتساع رقعة كبيرة بينهما من حيث لا تعلم وعليه ما يحصل هو ليس بتطور جزئي بل هو اقرب الى انسلاخ كامل من تقاليد واعراف وعقيدة السلف بغيثها وسمينها.

من الضروري ان نعرج على نوعية الاختلاف بين الجيلين لنفهم طبيعته، فالشباب يطمحون الى الجديد دوما، بينما الكبار يرفضون التجديد ويفضلون القديم، من جانب اخر نرى توق الشباب الى الثورية والمغامرة والجرأة والاندفاع، ونرى من الجانب الاخر للجيل الأكبر المحافظة والاحتياط والالفة مع العادات والتقاليد القديمة. فالشباب يدعون الى التجديد

وتطبيق النظريات الحداثوية من دون الاخذ بعين الاعتبار مكان وزمان تطبيقاتها، والكبار، من جانب اخر، بطبيعتهم يفضلون النظام والتريث.

من جانب اخر نرى شوق الشباب الى مستقبل مختلف ويقابله تمسك الكبار واستغراقهم بالماضي. جزء من هذا الصراع مرتبط بفهم الكبار لأهمية التجربة وضعف الشباب لفهم هذه الأهمية، بل يريدون للمجتمع والأجواء والفضاءات ان تتكيف مع تطلعاتهم وحركتهم، بدل تمسكهم بالتقليد وانسجامهم مع بيئة الأخ الكبير.

هنا نرى أهمية معرفة الوضع النفسي لكل جيل وفهم متطلبات الشباب وخصوصا كيفية إدارة مبتغاه في الوصول بسرعة لأهدافه، مدركين جيدا سعيه لطي المراحل أحيانا وكونه في سباق مع الزمن، وهنا أيضا يأتي السؤال عن مدى توفر الجدية والإرادة والإدارة لرعاية هكذا توجه والذي اذا اسيئ فهمه او التعاطي معه فسيترجم الى زيادة في الهوة مع الاخر وبالتالي يتحول الحراك من التكامل الى الصراع.

هل ان اثر التكنولوجيا كافٍ كسبب او عذر لتفسير هذه الاختلافات؟ فالجيل السابق تربى في أجواء محلية او عراقية بحته وفي دولة بوليسية شمولية متجذرة فيها ثقافة العسكرة والعنف وطلاق المواطن مع الدولة، ونرى بعده مجيئ الجيل اللاحق الشبابي وسط ثورة اتصالات غير مسبوقة فتحت كل شيء على كل شيء، وعليه ترى اختلاف المرجعيات بين ثقافة محلية وطنية بحته منعزلة للجيل السابق وأخرى شبابية وطنية دولية مترابطة بثقافات أخرى ومشغولة بحوارات واطلاع واسع على عالم الافتراض ومنصات التواصل الاجتماعي العابر للحدود والثقافة. وهنا نستطيع ان نفهم أسباب ضعف الجيل السابق وعدم قدرته على ترك بصمات مرجعياته المختلفة من التأثير على الجيل الحالي وعدم قدرته على الاعتماد على مؤسسات المجتمع الأساسية مثل الاسرة او اركان او اذرع الدولة في ترسيخ اعراف وقيم مشتركة.

ان توسع الهوة بين الجيلين بسبب تباين الآراء وانماط التفكير والسلوك واختلاف لغة الحوار بينهما انعكس على التنافر الواضح في الرؤى السياسية بين الجيلين، وهنا يأتي السؤال المهم عن كيفية ومسؤولية الطرف المعني في ترسيخ مفاهيم الارتباط بالوطن والأرض كمرجعية وبوصلة وطنية للكل.

هنالك عوامل متعددة ساعدت على توسيع الهوة بين الجيلين، ابتدأت بالتأثيرات

الاقتصادية للعولمة والتي مع الزمن تطورت الى تأثيرات ثقافية واجتماعية وانماط تفكير واستهلاك جديدة. هنا مثلا نرى تطور الثورة الصناعية الى معرفية واتصالات والتي توجت بعدها بثورة التواصل الاجتماعي والتي بدورها نمت وشجعت الكل، على اختلاف ثقافتهم ودرجة تعليمهم، على التعبير عن ما في خلجاتهم ومشاعرهم وآرائهم في الهواء العام، فضلاً على قدرتهم على الاطلاع على المجريات المختلفة للبلاد او المنطقة او العالم بأكمله.

كيف نريد لكل هذا الاطلاع والاستكشاف العالمي، بعد عيشهم في دولة عسكرة بوليسية شمولية دكتاتورية، ان لا يتأثر شبابنا، ثقافيا واجتماعياً بها؟. فمع كل يوم نراهم يواجهون فضاءات نقية وملوثة لأفكار ومعلومات ومذاهب واتجاهات مختلفة تجعلهم يشككون في كل معتقداتهم وقيمهم وعاداتهم التي يعيشونها او او تلك التي ورثوها.

فيا ترى من المسؤول عن التربية في مثل هكذا أجواء متشنجة؟ فالتاريخ والتراث يعلمنا ان الجيل السابق هو المسؤول، وعليهم تهيئة أجواء وفضاءات إيجابية للتربية الدينية والسلوكية والثقافية والخلقية والاجتماعية.

وعليه فوجود أي خلل في العلاقة بين الجيلين سيؤدي الى خلل في البعد التربوي، ومن الضروري ان لا ننسى ونلاحظ أهمية افتقار الجيل السابق الى معطيات النجاح في هذه المهمة، والذي بدوره سيؤدي الى ازدياد رقعة القلق والتوتر لدى الجيلين وبالتالي افتقار الحوار الى اهم ركائزه واسسه.

اما بخصوص منهج معالجة هذه التحديات الآنية والمهمة والخطيرة فمن الضروري لجيل الأخ الاكبر ان يتضمن منهجهم استخدام آليات الحوار والإرشاد بعيداً عن التذمر والاقصاء بحق الشباب او التآمر عليهم مع التقليل من شان خطورة الموضوع، فلا توجد عندنا هنا معادلة طرف فيها فائز والأخر خاسر، بل هي عملية تجديدية ضرورية وطبيعية للمجتمعات. هذا المنهج يحتاج ان يحترم إرادة الشباب ويعطيهم فرصة لقبول الاختلاف في الآراء والاستماع لملاحظاتهم مع السعي الحثيث لخلق بيئة صحية وايجابية للشباب. هذه البيئة تطور وتدير تطلعاتهم بدقة مع دراسة كيفية اشباع حاجاتهم بدون نسيان أهمية ترسيخ فكر وعقيدة وطنية واضحة.

دور الاسرة والعائلة كأصغر كيان مجتمعي ضروري فهما يستطيعان وضع برامج متابعة لتعديل السلوك مع نشر ثقافة تربوية واجتماعية صحية. الاكراه والضغط مع هكذا أجواء

متوترة لن تؤدي الى الهدف المنشود، فالحوار والاستماع للاخر بروية دون استباق للاحداث خصوصاً داخل الاسرة والمجتمع هو الحل والمنطلق لحلحلة الانسدادات المجتمعية ولتحويل الواقع من صراع الى حوار بين جيلين.

المهمة ليس بالسهلة ولكنها ليست مستحيلة، فعمق الخلل كبير وثقل التركة ليس بالخفيف، ولكن نعرف كذلك ان البعد الحضاري والاصالة للأمم لا تأتي من فراغ بل بجهد مجتمعي كبير للانتقال من دولة مرهقة بالانسداد الى دولة حيوية متطلعة للتطور تعتمد على الشباب وطاقاتهم كشريان لتدفق الدماء الصحية فيها. المهمة صعبة ولكنها ممكنة مع مراعاة مستلزمات النجاح والأدراك بان التمني لوحده لا يكفي بل يحتاج ان يستند على إرادة شبابية قوية وإدارة رصينة لتلك الإرادة.

اخيراً، او بالأحرى البداية هي في ضرورة نظرة الكل للمشكلة والتحدي كما هو وبحجمه وعمقه واثره الحقيقي، وان لا نقلل من شأنه، فجمال البناء القويم يبدأ بالإدارة نحو الهدف وينتهي بنفع الأجيال المتلاحقة منها.

«السلام لا يعني غياب الصراعات، فالاختلاف سيستمر دائما في الوجود، السلام يعني ان نحل هذه الاختلافات بوسائل سلمية، عن طريق الحوار، التعليم، المعرفة، والطرق الإنسانية».

ديلاي لاما

لقمان عبد الرحيم الفيلي

- خدم العراق سفيراً مفوضاً وفوق العادة لدى الولايات المتحدة واليابان.
- ترأس العديد من الدوائر في مركز وزارة الخارجية.
- متحدثا لرئيس الجمهورية د برهم صالح.
- مستشارا ومديرا في شؤون العلاقات العامة والإدارة والتخطيط الاستراتيجي ومدير برامج لتقنيات المعلومات في عدة شركات بريطانية وامريكية.
- من أبرز المتحدثين باسم العراق في المحافل الدولية والأوساط الامريكية رفيعة المستوى، مثل الكونغرس والمؤسسات البحثية والمجتمع الأكاديمي والتجاري.
- يتمتع بخبرات واسعة في مجالات الدبلوماسية والقيادة والتفاوض والإدارة العامة والتحليلات السياسية وادارة الازمات والتخطيط الاستراتيجي والاتصالات وإدارة تنظيم الاعمال والتطوير والتسويق وتكنولوجيا المعلومات والنشاط المدني، بالإضافة الى الخبرة الواسعة بشؤون الشرق الأوسط والمؤسسات والنظام الأمريكي والبريطاني.
- له العديد من الكتابات والبحوث المنشورة في الدوريات العربية والاجنبية.
- يمثل السفير لقمان الفيلي شريحة صاعدة وواعدة من جيل المهنيين ورجال الاعمال وقادة المجتمع المدني من العائدين الى العراق ليكون لهم دور فاعل ومؤثر في بناء العراق على أسس الديمقراطية والحرية الفكرية والسوق الحر.


www.alrafidaincenter.com


info@alrafidaincenter.com


009647826222246


alrafidaincent


ص . ب 252.


العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادرية - قرب تقاطع ساحة الحرية

